المشرق

المئة السابعة لوفاة القديس فرنسيس الاسيزي

لحضرة الاب عمانويل رولان اليسوعي

توطئة

في اليوم الرابع من شهر تشرين الاول تذكر الكنيسة الجامعة في كلّ سنة احد أبطالها العظام الذين شرّفوها بقداسة سيرتهم واعمالهم الجليلة نريد به القديس فرنسيس الاسيزي الذي ادهش العالم في اوائل القرن الثالث عشر ببراعة حياته وبمآثره الجمّة وبنفوذه الكبير في إصلاح عصره

إلّا انّ في هذه السنة داعياً خصوصيًّا لذكره اذ يوافق وقوع هذا العيد في المئة السابعة لوفاته فمن ثمّ احبّ إمام الاحبار قداسة ابينا البابا بيوس الحادي عشر أن تُقام لذكره مواسم لائقة بعظم فضله ليس في مقام وطنه فقط بل في كلّ انحاء المعمور ونشر في ذلك براءة عموميّة عدّد فيها مبرّات ذلك الرجل الكبير وحضّ سائر المؤمنين على التأسي بأعماله والسير بموجب روحه العلويّة

وقد أجاب العالم الكاثوليكي الى صوت هامة الكنيسة وتخصّصت لاكرام القديس فرنسيس سنةٌ كاملة كان مفتتحها في اسيزي في غرّة شهر آب بعد ثلاثيّة أُقيمت فيها فرائض دينيّة حافلة حضرها جمهور من الزوّار الذين قدموا من انحاء البلاد لمشاركة اهلها في تلك الافراح. فاحتشد الاهلون والوفود في ساحة المدينة الكبرى المزدانة بالرايات وضروب الزين وتغنّوا بنشيد نظمهُ لهذه الغاية حاكم المدينة السنيور

أرنلدو فوتيني فقرعت اجراس الكنائس وأرعدت المدافع وأطربت النوبات الموسيقية ثم سارت الجموع البالغة نحو ثمانين الفاً يتقدمهم ممثلو السلطتين الدينية والمدنية وطافوا في انحاء المدينة فاكرموا الاماكن العديدة التي قدسها فرنسيس بمشاءته وعجائبه حتى انتهوا الى كاتدرائية اسيزي حيث منحهم رئيس اساقفتها الجليل السيد امبروسيوس لوذي بركة القربان الاقدس

وفي صباح العيد في اول آب اقام الخبر المذكور احتفالاً مهيباً في الكنيسة الكاتدرائية المشيدة على قبر القديس والمبنية بناء فريداً ببراعة اكبر المهندسين والمزدانة بتحف الصناعة التصويرية لنوابغ المصورين كجيوتو وفرا انجليكو فقدم الذبيحة الالهية بكل أبهة ورونق بمصاحبة جوقات المرتلين وانغام الموسيقى الدينية . وفي مساء النهار تنظم موكب عظيم وطيف بالقربان الاقدس من الكنيسة الكاتدرائية الى كاتدرائية القديسة مريم التي فيها كان منشأ الرهبانية الفرنسيسية ومشى في هذا الطواف رجال الحكومة واعضاء المجلس البلدي حاملين راية المدينة ثم الوفود من جميع الرهبانيات والشركات والاخويات ببزاتهم الرسمية وشعاراتهم مع اعضاء المؤتمر الفرنسيسي العام الذي قدم اسيزي لهذه الغاية وختم الاحتفال ببركة القربان وباعلان الغفران الكامل الذي منحهُ الحبر الاعظم للمشتركين بهذه الحفلات

وقد اقبل كثيرون من الكتبة فنشروا في الجرائد الكبيرة والمجلات الشهيرة مقالات واسعة خصُّوها بذكر القديس فرنسيس واعماله فلا يسعنا نحن ان نضرب صفحاً عن ذكرهِ ولهُ على هذه البلاد من فضل ابنائه ما لا يجوز السكوت عنهُ . وقد قسمنا هذه النبذة ثلثة اقسام نبين في الاول منها شخصية فرنسيس رجل الله . وفي الثاني نصف مشي الرهبانيات . وفي الثالث نعتبر المصلح الاجتماعي

١ القديس فرنسيس رجل الله

هي قاعدةٌ مطَّردة انَّ الله اذا انتدب احد عبيده لعمل خاصٍّ وغايةٍ جُلَّى يخصُّهُ بنعم سنيَّة وشمائل ممتازة تؤهلهُ للقيام بدعوته هذه الالهيَّة . وقد اختار الله فرنسيس ليصرف نظر اهل زمانه عن التشبُّث بالماديات والمطامع الاشعبيَّة التي حوَّلت همتهم عن شؤون الآخرة لامور الفانية فيعلمهم روح التجرُّد الذي اعلن بهِ السيِّد

المسيح يوم قال لتلاميذه : «ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسهُ ؟ وماذا يعطي الانسان فداء عن نفسه؟»

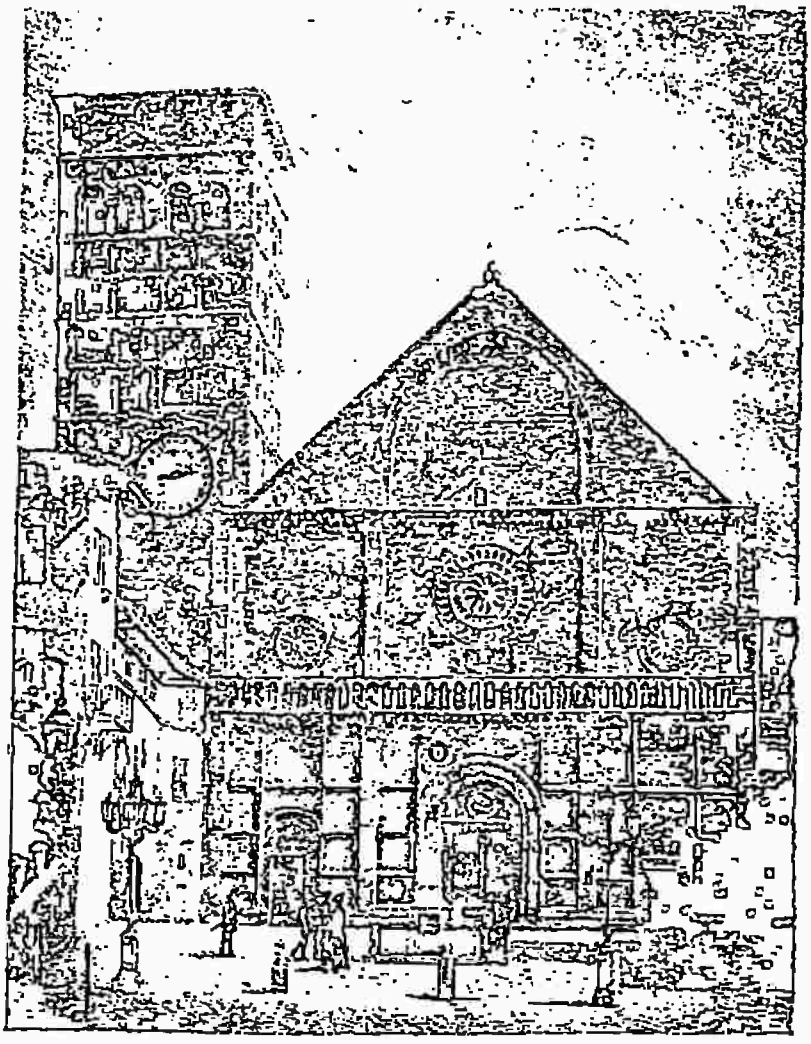

منظر كنيسة اسيزي الكتدرائية وعلى باحها تمثال القديس فرنسيس

اسيزي موطن القديس فرنسيس مدينة قديمة صغيرة في ايطالية الوسطى من اعمال

أمبرية واقليم بروزية لا يزيد عدد اهاليها على ستة آلاف نفس . ففيها كان مولدهُ سنة ١١٨٢ من ابٍ تاجر غنيّ بياترو برنردينو وامّ فرنسويّة من بروفنسة تدعى لابيكا تعلّم منها الفرنسويّة فلهج بها وتغنّى باغانيها في شبابهِ

نشأ فرنسيس حرًّا لطيف المعاشرة محبًّا للهو رقيق الطباع سخيّ اليد فصرف قسماً من حياتهِ في صحبة شبّان وطنهِ يشاطرهم المسرّات مع نفورهِ من كل ريبة وخلاعة . وكان يجد في ثروة ابيهِ ما يساعدهُ في ارتشاف كأس الهناء ورغد العيش

وكان مع استسلامهِ لتزوات الشباب يرقّ على المساكين ويحسن اليهم حتى انهُ اخذ على نفسهِ ان لا يَرُدّ احدًا منهم فارغاً بعد توبتهِ على واحد منهم كان جفاهُ اوّلًا ثمّ عاد فتكرّم عليهِ بصدقة وافرة

وكأنّ الله اراد ان يجازيهُ على فعلهِ فاراد اوّلًا ان يمحص هذه الجوهرة ببوتقة المحن والاوجاع فسمح ان يؤخذ اسيرًا في واقعة جرت بين مواطنيهِ واهل مدينة بيروزة فأُلقي في السجن وذاق طويلًا مرائر المعاش وبعد ان أُطلق سبيلهُ أُصيب بمرض عُضال كاد يطفئ سراج حياتهِ فعرف انّ افراح هذه الحياة لا ثبات لها وان ملذّاتها تُرتشف [illegible] فرفع بنظارهِ الى السماء مسترشدًا الله عمّا يطلبهُ منهُ واخذ يعود الى الفقراء بما كان ينفقهُ في شهواتهِ ويكسوهم بثيابهِ الفاخرة ويعود المرضى ويُحنّ على البُرص ويزهد في المسرات ومنادمة الشبّان . وأوحى اليهِ حينئذٍ احد الصالحين انّ الله اختارهُ ليجري على يدهِ اعمالًا جليلة في الكنيسة فدعاهُ ذلك الى ممارسة اعمال التقى ومضاعفة الاحسان نحو البائسين

امّا ابوهُ فتأفف من اسرافهِ وبذلهِ مالهُ في سبيل البرّ فضايقه وتشدّد عليهِ فلم يستطع ان يردّهُ عن جنونهِ على البؤساء فاراد ان يطردهُ من بيتهِ ويحرمهُ ميراثهُ فرفع الامر الى أسقف المدينة فدعاهُ الاسقف وبيّن لهُ بكل لطف غضب والده عليهِ لتبذيره مالهُ وهو يطالبهُ بهِ . فقام فرنسيس ودخل غرفةً هناك وتجرّد من كل ملابسهِ سوى مسح كان مرتدياً بهِ تقشفاً وجمع كل ثيابهِ صرّةً فاتى بها مع دراهمهِ امام الاسقف وسلّمها الى والدهِ قائلًا : ها اني منذ الآن ما عدتُ اعرف غير الله ابًا فاكرّر بكل صدق : « أبانا الذي في السماوات » . فلمّا سمع الحضور كلامهُ ذرفوا الدموع متأثرين من فعلهِ . وضمّهُ الاسقف الى صدرهِ لشهامتهِ وكساهُ بثياب حقيرة لبعض

(الشكل ١)

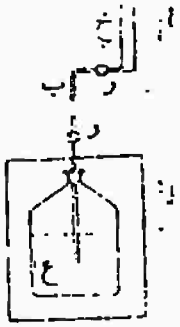

(الشكل ٣)

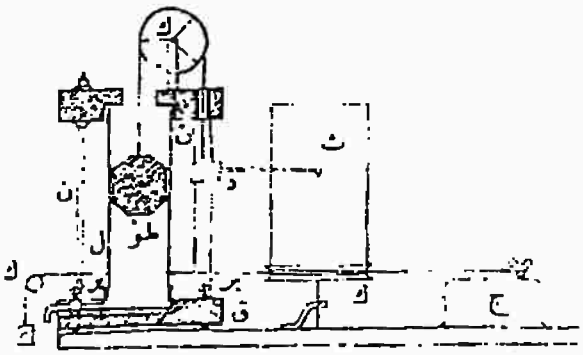

(الشكل ٤)

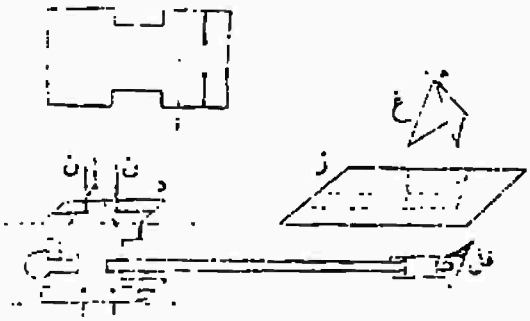

(الشكل ٢)

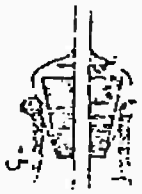

(الشكل ٥)

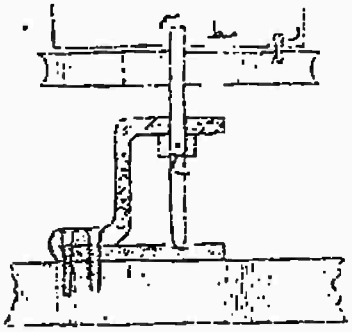

(الشكل ١) رسم صورة عمود البارومتر المائي (الشكل ٢) رسم وعاء الماء وتجهيزه
(الشكل ٣) ادوات البارومتر المدوّنة لضغط الهواء (الشكل ٤) اطراف قطر البكرة
(الشكل ٥) الدليل المتحرك والقلم المدوّن

خدمته . فخرج فرنسيس ناوياً ان يعيش هو ايضاً عيشة الفقراء متجرّداً عن كل حطام العالم

ومن البديهي انّ سلوكهُ هذا عدّهُ الناس ضرباً من الجنون ونالهُ بسببهِ ضيقات شتى واهانات وشتائم صبر عليها واذاقهُ الله اعذبهِ فرحاً باطناً شدّدهُ على عزيمتهِ فنذر الفقر الاختياري الى آخر نسمة من حياتهِ وكان يدعوهُ «سيّدي الفقر»

وما كان تجرُّدهُ هـذا إلّا الخطوة الاولى في طريق الكمال الذي اخذ بنهجهِ ليتقرّب الى الله مصدر كل كمال وينبوع كل فضل وصلاح . فتعلّم بعيشتهِ الفقريّة التذلّل والتواضع شأن الفقير الـذي ترشدهُ حالهُ الضنكة الى الاستهـانة بنفسهِ واعتبارها صغيرة حقيرة . وكذلك الصبر فانّهُ اتّخذ الفقر كأقرب وسيلةٍ الى التاسهِ وممارسة فضيلتهِ . ومع التواضع والصبر لم يصعب عليهِ اقتناء فضيلة الوداعة التي اكسبتهُ قلوب معاصريهِ . وما قولنا بثقتهِ بالله الذي عوّل عليهِ في تدبير حياته وألقى على ربّهِ حمل رجائهِ . وما لبث بممارسة هذه الفضائل حتى رقي الى اسماها وأجلّها اعني بها محبة الله فاضطرم قلبهُ بحبّهِ تعالى ولم يُعُد يعتبر الارض وكل محتوياتها إلّا كأرذال وهباء التراب

على انّ محبّة الله لا تنفصل في قلب اوليائهِ عن محبة القريب لوجه الله مع الغيرة في اصلاحهِ وتقديس حياتهِ . فاخذ فرنسيس كيوحنّا المعمدان يبشّر بالتوبة ويدعو الناس الى التجرّد والزهد فيحيك كلامهُ في قلوبهم ويتقاطرون الى استماع ارشاداتهِ ويعمل فيهم مثلهُ اكثر من كلامهِ فكانوا يتصدّقون عليهِ فلا يقبل منهم ما يزيد عن قوتهِ اليومي ويوزّع على الفقراء ما فضل منهُ

ولم يكتفِ بهذا بل اراد ان يصلب في نفسهِ مع المسيح الانسانَ العتيق (رومية ٦:٦) الذي كان يحاول ان يلقي على عاتقهِ نير الشهوات . فكان يحاربهُ بضروب الاماتات والتقشّفات من صوم ومجالـد وتمرّغ في الثلج او في الاشواك ريثما يستعبـد جسدهُ الذي كان تتدفّق في شريانه دماء الشباب . هذا فضلاً عمّا تحتملهُ من الآلام الطارئة فقبلها كنعمةٍ من يد الله بل كان يدعوها باسماء لطيفة كقولهِ «اختنا الحمّى» و«صديقنا المرض» وما اشبه ذلك من نظرهِ لبلايا الحياة بعين الايمان

ولا يظنّنّ احد ان فرنسيس في سيرهِ بهذهِ العيشة الشظفة كان فظّ الاخـلاق خشن الطباع غالبة عليهِ السوداء كانهُ غريب في عالم الاحياء . بل كان على خـلاف

ذلك لين الجانب دَمِث الأخلاق سهل المباشرة. وكان يغلب على افكاره التخيُّلات الشعريَّة فيرى في كائنات الطبيعة مباهج روحيَّة تُسَرّ بها نفسهُ ويتغنى بها. ولهُ في ذلك آثار رواها لهُ مترجمو اعماله من ذلك تسبحتهُ للشمس ووصفهُ لآيات محاسنها التي تقرّب الانسان الى خالقهِ. ومما يدلُّ على رقة نفسهِ ملاطفتهُ لذات الحيوان كدعوتهِ

القديس فرنسيس يؤانس الحيوانات

يوماً للطيور فاجتمعت حولهُ فألقى اليها عظةً لتمجيد بارئها ثم بازكها فطارت في الفضاء. ترتزق فرحاً. بل اطاعتهُ وحوش الفلوات كذئب مدينة غوبيو الذي كان يعيث في البلاد فساداً فدعاهُ وحذَّرهُ فاصبح انيساً كالحمل

وأيدهُ الله في تلك الاثناء باجتراح العجائب من تطهير البُرص وشفاء المرضى ومعرفة دفائن القلوب. واستحرّ بالعبادة نحو اسرار حياة المسيح الذي ظهر لهُ معلوماً فضمَّهُ الى صدرهِ واشاع القديس اكرام مولدهِ فكان اوّل من اصطنع مذوداً ليمثلهُ يوم عيد الميلاد لاعين الناس كما كان في بيت لحم فشاع صنيعهُ في انحاء العمور. وكذلك بالغ في اكرام مريم والدتهِ فاختبر آيات شفاعتها

٢ منشئ الرهبانيات

انَّ ما وجدهُ فرنسيس من اقبال العالم وتهافت الجماهير لسماع مواعظهِ وللاستهداء الى الصلاح اثبت لهُ انَّ القيام بمثل هذه المهمة يحتاج الى مساعدين يؤازرونهُ في العمل. وكأنَّ الله سبقهُ الى تحقيق رغائبهِ فأرسل اليهِ رجالاً ذوي تُقى ونشاط طلبوا ان يتتلمذوا لهُ ويجروا على مثالهِ. فكان اوّل ما فرض عليهم ان يبيعوا كل ما لهم ويفرّقوهُ على الفقراء فرضوا بذلك وتبعوهُ وارتدوا باطمارهِ الفقرية وجعلوا مثلهُ يتسكعون كالفقراء. وبلغ عددهم اثني عشر كتلاميذ المسيح. والحقّ يقال انَّ حياة القديس فرنسيس كانت اشبه بحياة السيد ابن الله في امور كثيرة فانَّهُ مثلهُ وُلد في مذودٍ بعد ان انتقلت امهُ اليه في مخاضها العسر بايواز رجل مجهول. ومثلهُ اتخذ اثني عشر تلميذاً ارسلهم للتبشير وخصهم الله بنعم سابغة وارتدَّ واحد منهم عن جادَّة البرّ كيهوذا الاسخريوطي. ومثلهُ رسم ملاكٌ في جسمهِ جروحات المسيح الخمسة

ولمَّا التفَّ تلامذة فرنسيس حولهُ وضع لهم قانوناً صارماً بناهُ على التجرُّد التامّ والكفران بالنفس واثبتهُ بثلاث آيات من الانجيل استدلَّ عليها بفتحهِ امامهم على يد بعض الكهنة في الكنيسة فكانت الآية الاولى (متى ١٩: ٢١): «ان شئت ان تكون كاملاً اذهب وبع كل ما لك واعطهِ المساكين وتعال فاتبعني». وكانت الآية الثانية (متى ١٠: ٩): «لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ولا مزوداً في الطريق. ولا ثوبين ولا حذاء ولا عصاً». اما الثالثة فكانت الآية (متى

١٦ : ٢٤) : « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبهُ ويتبعني »

وكان كثيرون يلومون القديس ويرون انَّ قانونهُ لا تطيقهُ الطبيعة البشريَّة لكنَّهُ تصلَّب في رأيهِ واظهر الله بعجائب باهرة انَّ ذلك القانون كان بإلهامهِ ومشيئتهِ فجرى عليهِ الوف ومئات ألوف من البشر بينهم الاعيان واشراف العالم فنما عددهم نموًّا عظيماً حتى في ايَّام منشئهم

وكما خصَّ فرنسيس ننتهُ لارشاد الشعوب وتذكيرهم بامور الآخرة نفخ ايضاً في قلوب ابنائهِ روح الغيرة وارسلهم الى انحاء ايطالية اوَّلاً ثمَّ الى جهات اوربة وبلغ بعضهم اصقاع الشرق فكان لتبشيرهم احسن الوقع في قلوب البشر . واراد فرنسيس ان يتقدَّمهم كرسل الى البلاد الاجنبيَّة فأبحر الى مصر سنة ١٢١٩ مع اثني عشر من رهبانهِ ودخل على الملك الكامل ابن الملك العادل الايوبيّ ليبشرهُ بالنصرانية وهو يؤمل ان يستشهد بامرهِ . لكنَّ الملك تحفَّى لهُ واكرمهُ واثبت على اسلامهِ . ثمَّ سار القديس الى فلسطين فوضع اساس رسالة رهبانيَّتهِ في تلك الاصقاع ولم تزل منذ ذاك الحين حارسةً الاراضي المقدَّسة تقاسي في حفظها ضروب الآلام والمصادرات حتى الموت الاحمر فزحموا دماءهم بدمائهِ فاديهم

ولم يقصر فرنسيس عملهُ على الجنس الشريف القوي بل اراد ايضاً ان تتبدَّ روحهُ الزهديَّة في الجنس الضعيف اللطيف واتاح لهُ الله ان يُخرج فكرهُ الى حيز الوجود بفتاة كاملة الصفات خَلقاً وخُلقاً تُدعى كلارا تميل فرنسيس في قلبها عمل المغناطيس في الحديد فهجرت بيت ابيها وقصَّت شعر رأسها وتحصَّنت في كنيسة القديسة مريم التي كان فرنسيس ورهبانهُ يخدمونها فجعلوها كمركز رهبانيَّتهم . فكان مثلها في اترابها كمثل فرنسيس في اهل وطنهِ . فأنشأ فرنسيس جمعيَّة النساء الزاهدات المتسميات الى القديسة كلارا ونيستهنَّ يتبعنَ قانونهُ . وبعد زمن قليل نما عددهنَّ كعدد الرجال . فصحَّ في كلتا الرهبانيَّتين مثل الانجيل في حبة الخردل فنستا كدوحتين باسقتين ظلَّلتا باغصانها عدداً لا يُحصى من طيور السماء

لكنَّ القديس لعلمهِ بانَّ هذه المشاريع العظيمة لا تثبت دون تصديق الحبر الاعظم على انشائها ذهب الى رومية ليلتمس من رئيس الكنيسة اجازة قانونهِ . وكان اذ ذاك البابا اينوشنسيوس الثالث ضابطاً لازمَّة الرئاسة وتشغلهُ امور هامَّة فلم يعبأ

القديس فرنسيس والمصاوب

اوّلًا بفرنسيس اذ لمحهُ بعينهِ الرثّة حقيرة لكنّهُ رأى في نومهِ حلماً دفعهُ الى تقريبهِ منهُ فانهُ نظر كنيسة رومية الكاتدرائية اوشكت على السقوط لو لم يسندها ذاك الفقير الذي ردَّهُ خائباً. فانس بهِ وفحص قانونهُ مع الكردلة حاشيتهِ. فحكم كثيرون منهم انهُ يفوق على الطاقة البشريّة لكن الحبر الاعظم اذ وجدهُ يستند الى تعاليم السيد المسيح في الانجيل موافقاً لسيرتهِ على الارض اجازه ورخّص لهُ ولتلاميذه ان يكرزوا في كلّ انحاء العمور

فكان نظر فرنسيس وتلامذتهِ وهم يسيرون حفاةً لابسين ثوباً خشناً متمنطقين بحبل لا يملكون شيئاً من اعراض العالم انجع مثل يردُّ الناس عن الطمع في الارضيّات ويحرّك الرغبة فيهم للاقتداء بهم. فانتشرت الرهبانيّة الافرنسيسيّة بنوع عجيب في كلّ الاقطار حتى بلغوا اقاصي العمور فساروا الى المغول والتتر والصين. وعرف نصارى الشرق الادنى في مصر والشام عظم فضلهم فكانوا لهم سنداً في بلاياهم وتعزيةً في احزانهم ودليلًا في حياتهم الروحية

٣ فرنسيس الرجل الاجتماعيّ

لكنّ رهبانيّتي فرنسيس الاسيزي مع ما ادّيا من الخدم للعالم الديني والادبي لم يبلغا قلب المجتمع الانساني ولم يؤثرا في عموم الهيئة الاجتماعيّة الاوربيّة إلّا سطحياً ففكّر فرنسيس في مشروع آخر يتناول النصرانيّة كلّها مباشرةً بافرادها وعيالها لكي يقاتل روح الأثرة والانانيّة السائد على اهل تلك العصور

كانت الكنيسة ببعثها الحملات الصليبيّة أبطلت في اوربّة تلك الحروب المشئومة التي كانت تقسم بين امّةٍ وامّة وبين معاملة ومعاملة وبين مدينة ومدينة وبين أسرة وأخرى فحوّلت نظر الجميع الى الاراضي المقدّسة لتبسط عليها حكماً مسيحيًّا. لكنّ معالجة هذا الداء الاوّل كانت تستدعي علاج داء آخر عياء. كان فاشياً في القرون الوسطى فلم تتمكّن من حسمهِ. وكان أصل الداء من حالة اوربّة السياسيّة التي شاعت منذ القرن العاشر وهي متوقفة على الاقطاعيّات التي كان يمنحها الملوك لبعض الخواصّ فيستغلّون الارزاق ويستثمرونها على شروط وخدَم يرتبطون بها نحو الملك لاسيما بمساعدتهِ في حروبهِ. ثمّ استبدّ كثيرون من اعيان البلاد بتلك الاراضي

وأقطعوها مَن دونهم . فكان اصحاب الاقطاعيات يتخذون العلة لاستثمارها ويتصرَّفون بهم تصرُّف السيد على عبيده . وكان السادة يتوارثون تلك الحقوق ويخوّلون منها ما شاؤوا مَنْ شاؤوا من اصحابهم . وامتدّت هذه الحقوق الى رجال الكنيسة نفسها ينالونها من السادة العلمانيين فيصبحون تحت حوزتهم وطوع يمينهم

فهذه الحالة السياسيَّة كان من شأنها ان تحمل اصحابها الى مطامع طائلة تنجم منها المنازعات والمشاغبات والمظالم المتنوعة فما كان سبيلٌ الى إبطالها او تخفيفها إلَّا بدعوة الشعوب الى التجرُّد والقناعة . فلما رأى فرنسيس اقبال الجماهير على تعاليمه وطلبهم بالحاح الدخول في رهبانيَّته وكثيرون منهم ارباب عيال مرتبطون بقيود الزواج فكّر في رهبانيَّةٍ مخفَّفة توافق اهل العالم مع بقائهم في عيشتهم الاجتماعيَّة فيمارسون في بيوتهم ذلك التجرُّد الذي ينفي المطامع والاستبداد ويشيع بين الناس من سادة ومَسُودين العدل والوفاق والحبّ المتبادل والقناعة المسيحيَّة . ووضع القديس لذلك قوانين اوحى اليه بها الله وانتشرت انتشار النور على الارض وتقيَّد بها الناس افواجاً في كل انحاء اوربَّة من ملوك واشراف ورجال ونساء وعموم الناس وهي تلك الرهبانيَّة الثالثيَّة او رهبانيَّة التوبة التي اوردت انها مجلة المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٥٣٨ــ٥٤٥) فصلاً واسعاً بنسبة المئة السابعة لانشاء تلك الرهبانيَّة فبيَّنت تاريخها وطريقتها ونتائجها العجيبة في كل طبقات الهيئة الاجتماعيَّة وشيوعها في البلاد حتى في انحاء الشرق كلبنان وسورية وما بين النهرين والعراق . وكثيراً ما حثَّ الاحبار الرومانيُّون المؤمنين على دخولها اذ تُقرّب اليهم ممارسة اسمى الفضائل وبلوغ الكمال المسيحي

ذاك هو فرنسيس الاسيزي الذي أجمع العالم على اكرامه في هذه السنة الواقع فيها تذكار موته والحق يقال انهُ بفقره وتجرُّده نفع المجتمع البشري اكثر من كل كتابات الفلاسفة واحلامهم التي لم تتجاوز غالباً دائرة افكارهم ولم تؤثّر تأثيراً يُذكر في اخلاق معاصريهم لتحسينها وترقيتها . على خلاف ذاك الذي دُعي بالاب السيرافيي لعلوّ مداركه وسيرته بين البشر على مثال ربّه الالهي السيد المسيح

هذا وقد اجتزينا في هذه النبذة بذكر القديس فرنسيس واعماله الشخصيَّة ولم نتعرَّض لما انشأهُ ابناؤهُ من المشاريع المختلفة منها دينيَّة لاكرام آلام المسيح واسرار

حياته وقربانه الاقدس ومنها ادبية واجتماعية كمشروع « جبال التقى » (Monts de Piété) الذي انشأهُ الاب يرنباي التوريني سنة ١٤٦٢ وامتدَّ في سائر انحاء العالم وبه نجا الوف بل مئات الالوف من الفقراء من ظالم المرابين ومنها شركة التناهة لمحاربة المسكرات سنة ١٨٥٦ وغيرها من المشروعات التي كان الفضل في انشائها لتلامذة القديس فرنسيس . وما نقولهُ عن الفرنسيسيين نقولهُ عن الكبوشيين وبقية الرهبانيَّات المنتسبة اليهِ تحت اسماء متباينة وقوانين متشكلة وكلهم يتوَّجون هامة القديس فرنسيس باكليل من المجد يزيد كل يوم حسناً وبهاء باعمالهم الشريفة

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٤٠ رشيد الدين ابو حُلَيْقة

﴿ اسمهُ اصلهُ نسبهُ دينهُ ﴾ افادنا ابن ابي اصيبعة في كتابهِ المتع عيون الانباء في طبقات الاطباء (٢ : ١٣١ — ١٣٢) معلومات متفرِّقة عنهُ وعن اجدادهِ ما نستخلصهُ هنا للقرَّاء . قال يذكر اسمهُ ونسبهُ (ص ١٣٣) : « هو الحكيم الاجلّ العالم رشيد الدين ابو الوحش بن الفارس ابي الخير بن ابي سليمان داود بن ابي المنى بن ابي فانة ويعرف بابي حُلَيْقة »

وذكر جدَّهُ ابا سليمان داود وكان متطبباً (ص ١٢١) فقال عنهُ انَّهُ « كان من اهل القدس ثم انتقل الى الديار المصريَّة » ومما رواه ان ملك القدس الفرنجي اموري (Amaury) وهو يدعوهُ « ماري » لمَّا وصل الى الديار المصريَّة اعجبهُ طبُّهُ فطلبهُ من

الخليقة ونقلهُ معهُ هو واولادهُ الخمسة الى البيت المقدس. فخدم الملك هناك وعالج ابن الملك المصاب بالجذام ثمَّ تركَّب

ومما اخبرهُ هناك انهُ ارسل احد ابنائهِ وبشَّر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بفتحهِ القدس فاصاب ذريَّته لذلك حظوة كبيرة لدى السلطان

واردف ابن ابي اصيبعة ذلك بتراجم ابناء ابي سليمان. وكان اكبرهم الحكيم (ابو سعيد مهذَّب الدين) الذي خدم صلاح الدين ثمَّ الملك العادل وولدهُ المعظم. وتوفي سنة ٦١٣هـ (١٢١٦). ويدعى الثاني (ابا شاكر) خدم الملك الكامل ابن الملك العادل وتوفي سنة وفاة أخيهِ ابي سعيد. واسم الثالث (ابو نصر) كان ايضاً طبيباً وتوفي بالكرك. والرابع (ابو الفضل) كان طبيباً فاضلاً وهو اصغر اخوتهِ توفي سنة ٦٤٤ وعمرهُ ٨٤ سنة هجريَّة (١١٦٤ــ١٢٤٦ م) خدم الملك المعظم بالكرك والملك الكامل بمصر. الخامس (ابو الخير فارس) تربَّى مع ابن ملك الفرنج المجذوم وخرج من بين اخوته الاربعة الاطباء جندياً

ورشيد الدين ابو حُلَيقة هو ابن ابي الخير فارس. دُعي ابا حُلَيقة لحلقة من فضَّة في اذنهِ وُصفت لهُ عند ولادتهِ دفعاً للموت الذي اصاب اخوتهُ قبلهُ فعاش هو وعُرف بابي حُلَيقة

﴿دينهُ واخبارهُ﴾ كان رشيد الدين ابو حليقة نصرانيًّا كجدّه ابي سليمان الذي صرَّح ابن ابي اصيبعة بنصرانيَّتهِ وكذلك اولادهُ وحفيدهُ رشيد الدين. وقد أتسع ابن ابي اصيبعة في وصف معارفهِ الطبيَّة وعلاجاتهِ الغريبة بتريق عجيب وضعهُ فشفى بهِ كثيرين ممَّن أيس الاطباء من حياتهم وحكموا بوفاتهم القريبة. وذكر خدمهُ الممتازة لاربعة من الخلفاء الايوبيين في مصر وهم الملك الكامل ثم العادل ثمَّ الصالح وتورانشاه. وعاش الى زمن المماليك وخدم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٨ــ ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ــ١٢٧٧م) ولم يذكر سنة وفاتهِ

﴿ادبهُ وشعرهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة يصف معارف رشيد الدين واخلاقهُ ويذكر اجتماعهُ بهِ (٢: ١٢٣):

« كان اوحد زمانهِ في صناعة الطب والعلوم الحكميَّة متفنناً في العلوم والآداب حسن المعاملة لطيف المداراة رؤوفاً بالمرضى محباً لفعل الخير مواظباً للامور الشرعية متفنناً في العلوم والآداب

حسن المعاملة لطيف المداواة رؤوفاً بالمرضى محباً لفعل الخير مواظباً للامور الشرعية التي هو عليها كثير العبادة . ولقد اجتمعتُ بمرات ورأيتُ من حسن معاملته وعشرته وكمال مروءته مايفوق الوصف »

وقد ذكر له عدّة تآليف طبيّة منها كتاب في الامراض واسبابها وعلاماتها ومداواتها . وكتاب في الادوية المفردة دعاهُ المختار في الالف عقّار . وكتاب الادوية المركّبة التي قد اظهرت التجربة نجحها وكتب مقالة في انّ الملاذّ الروحانيّة الذّ من الملاذّ الجسمانيّة وعلّل ذلك بقوله « اذ الروحانيّة كمالات وادراك الكمالات والجسمانيّة انّما هي دفعُ آلام أخرى وان زادت اوقعت في آلام أخرى » وهو نعم القول . وله ايضاً مقالة في ضرورة الموت علّله بتحلّل لدن الانسان بالحرارة التي في داخله وبحرارة الهواء الذي من خارج فكان يتمثل بهذا البيت :

واحداهما قاتلي فكيف اذا اجتمعا

وكان رشيد الدين شاعراً روى له ابن ابي اصيبعة بعض القاطيع نرويها هنا عنهُ . فمن ذلك قوله من ابيات يصف فيها منظرة سيف الاسلام (من الكلام) :

سمحَ الحبيبُ بوصلهِ في ليلةٍ غفلَ الرقيبُ ونامَ عن بَاياتِها
في روضةٍ لولا الزوالُ لشابهتْ جنّاتِ عدنٍ في جميعِ صفاتِها
فالطيرُ يطربُ في الغصون بصوتهِ والراحُ تجلى في الكؤوسِ صفاتِها
ومجالسُ القمرِ المنيرِ تنزّهت فيهِ الحواسُّ باسمها وكناتِها

وقال يذكر ايام اجتماعهِ بالمحبوب ووداعه له (من الطويل) :

أحِنُّ الى ذكر التواصل يا سعدُ حنينَ النياقِ القيسِ عنّ لها الوِرْدُ
فسَعْدى على قلبي ألذُّ من المُنى وقُربي لها عند اللقاء هو القَصْدُ
حوت مَبْسماً كالدُّرِّ أضحى منظّماً وثغراً كمثل الأقحوانِ بهِ شَهْدُ
وفَرْعاً كمثل الليل او حظّ عاشقٍ ووجهاً كوجه الصبح هذا لذا ضِدُّ

اقولُ لها عند الوداع وبيننا حديثٌ كنَشر المِسكِ خالطَهُ ندُّ
تُرى نلتقي بعد الفراقِ بمنزلٍ ويَظفَرُ مشتاقٌ أضرَّ بهِ البُعدُ
تمرُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ وذكرُكمُ باقٍ يُجدّدهُ العَهدُ
ولكنَّ خوفَ الصَّبرِ ان طالَ هَجرُكم فيُقضى ولا يَقضي لهُ منكمُ وعدُ
عَشِقتُ سيوفَ الهندِ من أجلِ أنّها تُشابهُها في فعلِ ألحاظها الهندُ
ولي في الرماحِ السُّمرِ سُمرٌ لأنها تُشابهُها قدًّا فيا حبّذا القدُّ
وفي الورد معنًى شاهدٌ فوق خدّها نُشاهدُهُ فيها اذا عُدِمَ الوردُ
وبي من هواها ما جحدتُ وعبّرتْ بهِ عَبرتي يوماً وما نفعَ الجَحدُ

وقال مشبّباً (من الطويل):

خليليَّ انّي قد بَقيتُ مُسهَّدًا من الحبِّ مأسورَ الفؤادِ مُقيَّدا
بحبِّ فتاةٍ يُخجِلُ البدرَ وَجهُها ولا سيَّما في ليلِ شَعرٍ اذا بدا
ضلَلتُ بها وهي الهلالُ ملاحةً فوا عجباً منهُ أَضلَّ وما هَدَى
لها مَبسِمٌ كالدُّرِّ اضحى منظَّماً ونُطقٌ كمثلِ الدرِّ أمسى مبدَّدا

ولما كان رشيد الدين في دمياط اتاهُ خبر والدهِ انهُ كان مرض في القاهرة ثم حُظي بالعافية فكتب لهُ (من الكامل):

قطرَتْ عليَّ سحائبُ النَّعماء مذ زالَ ما تشكو من البَلوَاء
ولَبِستُ مذ ابصرتُ خطَّك نعمةً فيها اقوم لشكرها بوَفاء

وقال ابن ابي اصيبعة يذكر اهل رشيد الدين فقال (٢: ٢٢٨): وجماعة اهل الحكيم رشيد الدين ابي حُليقة اكثر شُهرتهم في الديار المصريّة والشام ببني شاكر لشهرة

الحكيم ابي شاكر وسُمعته الذائعة فصار كلّ من لهُ نسب اليه يعرفون ببني شاكر وان لم يكونوا من اولاده . ولما اجتمعتُ بالحكيم رشيد الدين ابي حُليقة — وكان قد بلغهُ انني ذكرتُ الاطبّاء المشهورين من اهلهِ ووصفت فضلهم وعلمهم — تشكّر مني وتفضّل فانشدتهُ بديهاً (من السريع) :

وكيف لا اشكرُ مَن فَضْلُهم ... قد سار في المشرق والمغرب
تشرقُ منهم في سماء العُلا ... نجومُ سعدٍ قطُّ لم تَغْرُبِ
قومٌ ترى اقدارَهم في الورى ... بالعلم تسمو رتبةَ الكوكبِ
كم صنّفوا في الطب كُتْبًا أتَتْ ... بكل سِرٍّ مبدعٍ مُغْرِبِ
وانّ شكري في بني شاكرٍ ... ما زال في الأبعد والاقربِ
خُلّدتُ مجدًا دائمًا فيهمُ ... بحُسْن وصفٍ وثنًا طيّبِ

وقد ذكر ابن ابي اصيبعة ولدًا لرشيد الدين يدعى ابا سعيد زاول الطبابة كابيه وقال عنهُ انهُ أسلم في ايام الملك ظاهر بيبرس . وفي خطط المقريزي (٢ : ٣٧٨) جاء ذكر ولد آخر لرشيد الدين لم يُسلم دعاه [illegible] ترجمهُ ابن ابي حليقة روى عنهُ انهُ خدم الملك الكامل وحضر وفاتهُ

٤١ ابن مرتين

﴿زمنهُ وشعرهُ﴾ هو شاعر نصرانيّ اندلسيّ ذكرهُ ابن العربيّ في مسامراتهِ (٢ : ٣١١ او ٣٣٧) قال في باب العشّاق والعشق . انشدني ابن مرتين من هذا الباب يصف ما في الحبّ من الخير والشرّ من الحسن والضرّ (من الكامل) :

الحبُّ فيهِ حلاوةٌ ومرارةٌ ... والحبُّ اصغرُ ما يكونُ عظيمُ
الحبُّ أهونُهُ شديدٌ قادحٌ ... والحبُّ اصغرُ ما يكونُ عظيمُ
الحبُّ صاحبُهُ يبيتُ مُسَهَّدًا ... ويطيرُ منهُ فؤادُهُ ويهيمُ
الحبُّ لا يَخفى وان اخفَيْتَهُ ... انَّ البُكاءَ على المحبِّ غمومُ

الحبّ يشهدُ صادقًا (١في وجههِ عند التنفُّس انّهُ مهمومُ
الحبّ داءٌ قد تضمّنهُ الحشا بين الجوانحِ والضلوع مقيمُ

ولم نطّلع على شيء آخر من شعر ابن مرتين. وانّما يؤخذ من ذكرهِ في مسامرات ابن العربيّ انهُ عاش قبلهُ اعني قبل القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح لأنّ ابن العربي توفي سنة ٦٣٨ه (١٢٤٠م)

ثمّ وجدناهُ مذكورًا في كتاب المقّري نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٢:٨٨٩) حيث دُعي بالمتأنّد ابن مرتين ويتعيّن زمانهُ في عهد المعتمد على الله بن عبّاد صاحب اشبيلية (٤٦١–٤٨٤ ه ١٠٦٨–١٠٩١ م) فيكون اذن من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح

٤٢ ابن زطينا

﴿ نسبهُ زمانهُ دينهُ ﴾ وصفنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠]: ٥٩٦–٦٠٧) كتاباً مخطوطاً قديماً من اواخر القرن الثالث عشر او اوائل الرابع عشر ونقلنا عنهُ هناك شذرات تاريخيّة مهمّة. ففي الصحيفة الثانية عشرة منهُ ورد ذكر ابن زطينا فقال المؤلف في تاريخ سنة ٦٢٦ه (١٢٢٨م): «وفي هذه السنة توفي ابو الفضل جبريل بن زطينا كاتب الديوان كان اوّلًا نصرانيًا واسلم في ايام الخليفة الناصر لدين الله». ومنهُ يتّخذ انّهُ عاش في اواخر القرن السادس للهجرة الى الربع الاوّل من القرن السابع. وانهُ كان نصرانيًا. وامّا اسلامهُ فنعرف انهُ لم يكن اختياريًا لما صار وقتئذٍ من الضغط على النصارى كما ورد في الكتاب المذكور (ص٥٩٦–٥٩٧) عن ابن فضلان الذي كتب الى الخليفة الناصر لدين الله يحضّهُ على مناهضة النصارى والضغط عليهم. ومن ثمّ لا نرتاب في نظمهِ بين النصارى. ويؤخذ من شعرهِ انهُ عمّر طويلًا

وقد ذكر المؤرخ المذكور الذي نقلنا عنهُ في تاريخ سنة ٦٣١ه (١٢٣٢م ص٧٩٥)

---

١) ويروى: صارخًا

انَّ هبة الله ابن زطينا خلف اباهُ جبريل في الديوان ورُتب كاتب السكَّة وذلك بايماز ابن حاجب قيصر النصراني كما يلومهُ في ذلك ابن رضوان . وهو دليل على نصرانية جبريل وعلى انَّ اسلام والده كان تظاهرًا ليس حقيقيًّا

﴿ادبهُ وشعرهُ﴾ ورد ذلك في الكتاب المخطوط الذي اشرنا اليهِ فقال: وكان (ابن زطينا) ذا فضلٍ وادب ولهُ نظمٌ ونثرٌ واشياء مستحسنة ومن شعره قولهُ يحضُّ على التوبة والصلاة والصوم (من السريع) :

إنْ سَهَرَتْ عينُك في طاعةٍ فذاك خيرٌ لك من نَوْمِ
أمسكَ قد فاتَ بعلّاتهِ فاستدرِكِ الفائتَ في اليومِ
وان قسا القلبُ لأكدارهِ فصَفِّهِ بالذكرِ والصومِ

ولهُ في الاستغاثة بالله عند البليَّة (من الوافر) :

اذا أعيا عليك الامرُ فارجعْ الى ربٍّ عوائدُهُ جميلهْ
فكم من مسلكٍ مع ضيقِ بسطٍ تخلّى وانسبابَ بغيرِ حيلهْ

وقال يذكر ضعفهُ لتقدُّمهِ بالعمر (من السريع) :

أريدُ من نفسي نشاطَ الشبابْ ودون ما أبغيهِ شيبُ الغُرابْ
فكيفَ والسبعون جاوزتُها ومذهبُ العُمرِ رُمي بالذَّهابْ
ومطلبي عزٌّ وما دونهُ ذيّاكَ نفسي وأموري صِعابْ
وقد تحيَّرتُ ولا غَروْ أنْ يحارَ من يطلبُ ما لا يُصابْ

٤٣٠ صاعد بن عيسى بن سمّان

﴿زمنهُ دينهُ شعرهُ﴾ ورد ذكر صاعد في تاريخ كمال الدين ابن العديم الذي

عنوانهُ بغية الطلب في تاريخ حلب (Ms de Paris n° 726, ancien fonds, ff. 18r) فقال هناك يذكر ابن سهلون :

« اسرائيل بن سهلون ابو الحسن الطبيب الحلبي اظنهُ من نصارى حلب ظفرتُ لهُ ببيتٍ من الشعر قرأتهُ بخطّ بعض كتّاب حلب مما اختارهُ من شعر صاعد بن عيسى ابن سنان الكاتب النصراني الحلبي . فكان صديقهُ ابو الحسن اسرائيل بن سهلون الطبيب عمل بيتاً وهو (من الطويل) :

أيا طَيْفَ من أهوى تَسَرْبلتَ عِفَّةً واشبهتَ في الاحلام فِعْلَكَ يَقْظانا

فاجابه يعني صاعد بن عيسى :

ولكنّنا مُتْنا من الوَجْد قبل أنْ يُسلِّمَ دجيًا بالسلام فأحيانا
على مِثْل هذا الفعل كانت إمامةٌ تُواصِلُنا أحيانًا وتهجرُ أحيانا
اذا كنتُ لا ألقاكَ في الدهر يَقْظةً فيا ليت اني ما عِشتُ وَسْنانا

فمن ذكر صاعد في تاريخ كمال الدين يتبيّن انهُ سبق هذا الكاتب المتوفى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١م) . وقد سها عن ذكره محمد افندي راغب في كتابهِ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء .

٤٤ نصرالله الغفاري

﴿زمنهُ شعرهُ﴾ ورد ايضاً ذكرهُ في احد مخطوطات لندن الذي عنوانهُ كتاب تذكرة العلماء والشعراء (Ms Br. Mas. 1108) للمملوك تاني بك الخزندار فنظم بين شعراء القرن الثالث عشر للهجرة نصرالله بن هبة الله الغفاري الكاتب الشاعر النصراني وروى لهُ من الشعر قولهُ في توبتهِ عن شرب المدام (من الخفيف) :

أيُّها الحِلُّ خلِّني وهمومي شغلَتْني نَدامتي عن نَديمي

عَـدِ عني كأسَ المُدامِ فـاني تائبٌ عن وِصال بنتِ الكرومِ
ختَمَ اللهُ لي بخَيرٍ فما لي اربٌ في رَحيقها المختومِ
انا لا اسمعُ الغِناء فما لي ولثاني الثقيلِ والمزمومِ(١

قال ومن شعره ايضاً قولهُ في كذب المنجمين (من الوافر):

اذا حكَمَ المُنَجِّمُ في القضايا بحُكمٍ جازمٍ فأرْدُدْ عليهِ
فليس بعالمٍ ما اللهُ قاضٍ فقَلِّدْني ولا تَرْكَنْ اليهِ

(له بقيّة)

رحلة الى شمالي لبنان

لحضرة الفاضل انطونيوس يشلي اللبناني (تتمّة)

دير مار مارون عنّايا

لقد امتدَّ بنا الكلام عن دير ميفوق فهيّا بنا نغادرهُ ايها القارئ في ٩ ايلول الى دير مار مارون عنّايا المشيَّد في صحراء قفرة وهو يطلّ على مناظر طبيعيّة فاتنة ويعلو عن سطح البحر زهاء ١١٠٠ متر ولا يبعد شرقاً عن مدينة جبيل الأثريّة سوى ثلاث ساعات، تقصدهُ الناس من الانحاء البعيدة لزيارة جثمان الحبيس الطيّب الذكر الاب شربل مخلوف بقاع كفرا المصون فيه كمكنز ثمين

في سنة ١٨١٤ تسلّم الرئيس العام اللبناني الاب اغناطيوس بليبل من يوسف ابي

١) ثاني الثقيل والمزمومُ من الاصوات المعروفة عند المثنين وارباب الموسيقى

رميا وأخيه داود من اهم محبسة القديسين بطرس وبولس القائمة قرب دير عنايا (١ . وفي سنة ١٨٢٠ هبَّ الرئيس العام الوسى اليه لشترى الاراضي القريبة من المحبسة من المشايخ الحمادين وباشر بناء دير مار مارون عنايا في تلك البقعة التي كانت مأهولة بالمتاولة ولم يتمّ بناؤهُ إلّا في سنة ١٨٣٨ في عهد رئاسة الاب عمانوئيل الشابي العامّة فازهرت اذ ذاك النصرانيَّة وانتعشت في تلك الارجاء. واستأنس الاهالي بالرهبان واخذوا يتوافدون اليهم لاتمام واجباتهم الروحية في كنيسة ديرهم. وفي المحبسة المذكورة وجدنا الكتب الآتية :

١ً كتاب يحتوي صلوات استعداد وشكران للقداس تأليف المطران عبدالله قراعلي . ورسالة في الصلاة الذلية وحاشية في تدبير رياضة المترهبين وبليها ستون تأملاً في آلام يسوع وموته وقيامته. قد جمعها القس جبرايل قرحات الراهب اللبناني. ٢ً المصباح الزهباني في شرح القانون البلدي في لقراعلي. ٣ً كتاب اقديس اسحق السرياني في السيرة الرهبانية يشتمل على اربعة اجزاء في ٥٢٢ صفحة ناسخه راجي راجح عواد الخصروني. ٤ً مختصر كتاب يوحنا السلمي. ٥ً مجموع عظات للدوجي وسمعان عواد وبرأصاف البسكنتاوي. ٦ً بستان الرهبان. ٧ً خزانة الاسرار للبطريرك سمعان عواد. خط القس اسطفانوس البجديداتي اللبناني في دير سير سنة ١٧٤٠

ووجدنا في قرية اهمج التي تبعد عن دير عنّايا ثلاثة ارباع الساعة عند يوسف ناصيف ابي رميا : كتاب الاجرومية وجزئين من العلم اللاهوتي لكلوديوس . وفي بيت المرحوم الخوري جرجس ابي موسى : كتاب يشتمل على صلوات ورتب كنائسية وعلى العلامات التي يتميز بها المصروعون عن المرضى تجب معرفتها لكل كاهن يستعمل القسيم . وكتاب المحاورات الرهبانية خط قديم . وعند الخوري ميخايل الخوري . التحفة السرية لترحات . وفي كنيسة السيدة : كتاب افراميسات (اناشيد) تقال في اعياد القديسين وقت تلاوة القداس وكثير منها لم يُطبع في كتاب الإفراميات المعروف . وفي كنيسة دير مار ميخايل : ستكسار خط الخوري يوسف عطاالله من الحميره سنة ١٨٥٢ . وقد جاءت في آخره هذه النبذة وهي بحرفيتها :

« انه في اليوم الثامن من شهر تشرين الاوّل سنة ١٨٧٢ نصف النهار صار ثلج (شتاء) متراكم في ناحية وسط البلاد البرية من قرية الكفور للشمال حتى ان الماء اخذ (اي خرّب)

١) راجع تاريخ هذه المحبسة وترجمة حبيسها الاب شربل التي نشرناها في المشرق (٢٠ : ١٩٢٢] : ٢٨٩)

املاك شتى . ولو يصير ذلك في الليل لكان خرب حارات مع اصحابها ايضاً . وبقي هذا الامر قدر ساعة زمان من دون ريح والمياه اخذت من الوادي قدام في ناحية نهر ابرهيم القبلية . ومن زيادة الحجار والتراب الذي سقط في النهر غير جري النهر المذكور وكانت فيه غبايط ماء (برك ماء عميقة) انفسحوا (تنطروا) بالحجار والتراب حتى ان الخيال يمشي فوقها راكضاً . ه .

دير مار سركيس وباخس قرطبا

أقمنا في دير عنايا ثلاثة ايام وبرحناهُ ووجهتُنا دير مار سركيس وباخس الشهيد شرقي قرطبا . فركبنا وسرنا ماريّن في الهيج فجبل الميحال فكنا نهبط غوراً ونصعد نجداً ولا تقع عيننا الّا على اشجار البلوط والصخور الكبيرة . وما زلنا نتخذُ في مسيرنا بين ملتفّ هذه الغابة حتى بلغنا اطراف حمي اللقلوق الشهير بطيب مناخهِ ونقاء هوائهِ ولذيذ مائهِ . فجلسنا للاستراحة تحت ظلال شجرات من الصفصاف ينبثقُ من بينها ماء بارد زلال . وبعد ان استوفينا قسطنا من الراحة مشينا في طريقنا الى دير مار سركيس فوصلناهُ عند حلول الظهر

في سنة ١٨١٥ حضر فريق من اهالي قرطبا الى دير سيدة سامشي وطلبوا من الرئيس العام الاب اغناطيوس بليبل ان يقبل منهم وقفيّةً تشتمل على كنيسة قديمة على اسم القديسين سركيس وباخس وعشرة امحال ورق توت ويقيم لهم مدرسة حذاء هذه الكنيسة لاجل تعليم ابنائهم مبادئ القراءة والديانة ويعيّن لخدمتهم الروحية المفتقرين اليها اشدَّ الافتقار احد كهنة ابناء رهبانيتهِ . فرضي الرئيس العام وتمَّ الاتفاق بحضور ومصادقة مطران الابرشية السيد جرمانوس ثابت . وشيَّد الاب العام مدرسة جنب الكنيسة وسلّمها للقس برنردوس عبيه ونشط اذ ذاك لشترى الاملاك . ولما اصبح ريعُها كافياً لمعيشة عدد من الرهبان وسّع نطاق المدرسة وحوّلها الى دير قانوني . وقد انفق في عماره ومشترى ارزاقه ٥٤٧٠٣٧ قرشاً . واول رئيس عليه هو الاب عمانوئيل الشبابي سنة ١٨٢٣ وقد توالى على رئاستهِ ٢٥ رئيساً . وقد امر قدس الاب العام الحالي في ترميم القسم الغربي منه وبنيانهِ على طرز جديد

اما مدرسة كفرحيّال التي هي شرقي الدير وتبعد عنه نحو نصف ساعة فقد انشأها

القس اندراوس ابرهيم الخوري القرطباوي(١ سنة ١٨٥٣ واشترى لها اراضي واسعة.
وهذه الكتب الخطية التي رأيناها في الدير:

كأس ثمينة في قرطبا في كنيسة القديسين سركيس وباخوس

١) ولد هذا الاب سنة ١٧٩٥ ولبس الثوب الرهباني بدير مشموشه سنة١٨١٥ وتوفي في حدرة كفرحيال سنة ١٨٨٥ وقد ترأس على دير قرطبا وحوب وقرطبا وسعاد وبيفوق وكان اديباً فاضلاً يصوم كلّ سبت ويصلي كثيراً

١ً كتاب شريعة القسطنطينية . يبحث في تقسيم المواريث وهو نقل من اسم المؤلف وفيه عدة اسئلة في الشرع واجوبة عليها المطران قراعلي وغيره من مطارنة الطائفة المارونية . ويحتوي ايضاً سلسلة البطاركة الى البطريرك يوسف الخازن . ٢ً دفع الهمّ . ٣ً مواعظ لايام الاعياد والاعياد . خط عبد الاحد ابرهيم الطرابلسي سنة ١٧٨٧

ومن الاثار القديمة في دير قرطبا كأسٌ قديمة ثمينة للتقديس قد اشتراها من الرهبان الارمن بدير مار انطونيوس خشبو في غزير رئيس دير قرطبا المرحوم الاب نعمة الله عوّاد الحصروني بستة آلاف غرش . وهذه الكأس هي من فضّة ومحلّاة بالذهب . وهي آية في بديع نقشها حُفرت على طاستها رسوم الرسل يوحنا وبطرس وبولس وفي منتصفها عند قبضة اليد رسم آلام المسيح وفي اسفلها رسوم السارافيم الستة . وعليها معرّشة جفنة قديمة مقلّدة مخرّمة تحمل في اعلاها عناقيد عنب ملتفّة على الطاسة كما ترى في الرسم . وقد دفع احد صاغة بيروت بهذه الكأس ثلاثمائة ليرة عثمانية فلم يبعها الرهبان (انظر الصورة)

ووجدنا في قرية قرطبا عند الخوري يوسف عمانوئيل : كتاب المنى الذي انتطفهُ المطران يوسف الماتوري من كتاب الاسرار النصرانية للمطران يوحنا الحصروني(١) . وقد جاء بعد الفهرست الذي وضعهُ في اوائله ما يلي بحرفيته :

« كملت بعون السيد المسيح فهرست كتاب المنى على يد الحقير كاتبه (اي منتطف هذا الكتاب) المطران يوسف مطران صيدا ابن المرحوم المطران بطرس الماتوري وذلك كان في مدينة حلب لانه كان في فضيان (قضاء) مصالح البارك المكرم يوحنا ابن المرحوم نعمتلوفه الماتوري . يا اخوتي القارئين هذا الفهرست لا تعتبروا على حقارتي لاني متعلم وليس كان من زمان اصلحها (اي الفهرست) كما كنتُ اريد حتى تبقى هيئة وسهلة على الذين يقرؤا بهذا الكتاب المنى من الكتب التي لسبة اسرار النصرانية . كل من وجد كلمة او حرف او نقطة ناقصة يصلحها . . وجرى ذلك وحُرّر سنة ١٦٢٧ بشهر ادار المبارك وذلك كان بحضور الاخ المكرّم الحوري الياس العجيمي والقسيس باخس الاخ الجليل النعمة الصالح في مدينة حلب وذلك حقارتي نسبتهُ في السنة المعينة (المذكورة) مع عدة من الشمامسة . . . »

ثمّ يأتي افتتاح هذا الكتاب هكذا :

« بسم الله الحي نكتب كتاب الاسرار النصرانية الذي هو على قواعد التوراة والانجيل والاباء والمجامع تأليف الاب المكرّم مطران يوحنا المعدان الحصروني الراهب الروماني »

١) راجع المخطوطات العربية ص ٩١ (والمشرق ٥ [١٩٠٢] : ٥٤)

وقد جاء في آخره لمقتطفه ما حرفيتهُ :

« فهذا ما فهمتهُ بعقلي واحتضنتهُ بقلبي وكتبتهُ بيدي وقطفتهُ من كتاب معلمي المطران يوحنا الحصروني الدومينيكاني كتاب مقطوف الاسرار النصرانية وهو مؤسس على قواعد الانجيل الطاهر والكتب المقدسة والعلوم الرسولية والروحانية كتبهُ الله المُضيء وسمّيتهُ كتاب المنتقى من كتب الالهية لانه مقطف (مقتطف) منهم (منها) وحاوي ما فيهم (فيها) من الفائدة والضرورة الذي يحتاجهُ (اي يحتاج الى معرفته) الانسان المؤمن بمذهب دين المسيح ابن الله الازلي لهُ المجد امين . »

ثمّ يلي اسم ناسخة هذا الكتاب :

« كمل هذا الكتاب المبارك الذي هو كتاب الاسرار على يد الحقيرة مريم من قرية درعون (١ سنة ١٦٥٠ في ٢٢ يوم مضت من شهر تموز . الله يرحم كل من لهُ تعب وشوقنا امين . »

ووجدنا هذه النبذة معلقة على آخر ورقة منهُ :

« انه لما كان سنة ١٦٩٤ ربانية صار معركة على الامير ابن امين من الاباشات (كذا) جميعهم لاجل انه اخفى بنين حماده عدو زعاد هو احتمى والمقدم محمد ابن بلّمع وعاد الباشا حرق المتين ضيعتهُ وراحوا حضروا كل المذاهب (ذهب المذاهب) والمعالف (كذا) والفلاحين عند الباشا . »

وعند الخوري يوسف عمانوئيل المذكور : كتاب تاريخ المنطوريني . وعند بولس الخوري اسطفان : كتاب خزانة الاسرار للمطران سمعان عوّاد . وكتاب غرامطيق سرياني تأليف الخوري بطرس التولوي ، وديوان المطران فرحات ، ونبذة خطيّة تسمّى « الرسالة القرطباوية » للمرحوم القس اغوسطين الخوري القرطباوي ذكر فيها تاريخ العيال المتوطنة في قرطبا . وقد استند في وضعه الى تواريخ خطية قديمة

الحدث : دير مار اليشاع

في الخامس والعشرين من شهر ايلول يوحنا دير قرطبا صباحاً قاصدين حدث

١) ان مريم هذه كانت راهبة في دير حراش تراول مهنة النسخ وهي بنت الخوري حنا الشمالي . (المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٢١٧)

الجبّة فررنا في الشربينة فبدت لانظارنا جبّة الطاقورة العالية ومغارة افقا. ولما اشرفنا على اللقاوق الذي يعلو عن سطح البحر ٢٧٠٠ متر شعرنا ببرودته المنعش ولاحت لاعيننا تلك السهول الفسيحة المُمرعة وقد نصب فيها البدو بيوتهم الشعرية فتبدين كالنقط السوداء في الصحيفة البيضاء. وكانت النياق تسرح وتمرح في تلك المراعي الخصبة ونساء هؤلاء البدو صادرات واردات الينابيع المتفجرة في تلك البقعة الجميلة والضجّة والضوضاء مائنة ذاك المكان. حتى انك لتخال اللقاوق مدينة آهلة بالسكّان

بعد ان قطعنا مسافة ساعة ضللنا الطريق في تلك المهامه والمفاوز فاخذنا نُنجد ونغوّر نذهب تارة شمالاً وطوراً يميناً ولا نصطدم الّا بالصخور. وقد بلانا الله برفقة مُكار أصمّ فكان يتقدّمنا في كل الطريق فنناديه ولا نسمع منه جواباً غير الرنين والدمدمة. وبعد تحمّلنا هذا العذاب المرّ وصلنا الحدث الساعة الثالثة بعد الظهر فنزلنا في ضيافة حضرة الخوري بطرس العلّم ابن شقيق الطيب الذكر الاب دانيال العلّم الحدثي. والحدث بلدة جميلة تعلو عن البحر ١٥٥٣ متراً يؤمّها المصطافون من جميع الانحاء.

وجدنا عند الخوري بطرس المذكور من الكتب الخطية: كتاب الاربعة (قراءات) خط «الشدياق مخايل ابن ابو ناخم العلّم سنة ١٧٥٥» وكتابين في الطب بخط قديم كتبا لعمّ المرحوم الخوري بطرس الذي كان له الهام بهذا الفن كشقيقه الاب دانيال عنوان الاول «مختصر في عمل الطب والجراحة وتركيب الادوية» والثاني «مختصر شروح المفردات الطبية مترجم من اللغة الافرنسية ومرتّب على حروف الهجاء»

اقمنا يومين في الحدث وغادرناها الى دير مار اليشع النبي بشرّاي. فررنا في حصرون فرأيناها غاصّة بالمصطافين. ولما لبثنا ان وصلنا دير مار اليشع لاخواننا الرهبان الحابيين فاستقبلنا حضرة رئيسه الفاضل الاب يوحنا معربس بما عُرف به من طلاقة الوجه وكرم النفس. فأنسنا به وبرهبانه واستروحنا في ديرهم نسيم الراحة ونسينا ما ألمّ بنا من تعب السفر ووجدنا عندهم تعزية وسلوى

ان دير مار اليشع قائمٌ على ربوة عالية قد شيّدهُ الرهبان حديثاً على طرز جديد وهجروا الدير القديم في الوادي بعد ان رممهُ سنة ١٨٣٥. ومن جهتي الدير القبليّة

والغربيَّة تقع العين على تلك المناظر البديعة فترى وادي قاديشا والنهر يرغي مزبداً جارياً في وسطها، ودير مار اليشع القديم لاطئاً في جانب الصخور. وترى مغاور النساك ومعابدهم منتشرة في ذلك الوادي الرائد في ظلال السكون العميق. وتسمع رنين اجراس الكنائس الشيدة على تلك الروابي تردّد صداها المغاور والكهوف ويرتفع صوتها الى السماء على اجنحة الغمام. واذا ما وقفتَ في احدى شرفات الدير الشرقية رأت عينك بلدة بشرّاي الجميلة جاثمة بين الغياض والرياض ولاحت لك من بعيد اشجار الارز المنبسطة الاغصان كسرب من الحمام ناشر اجنحتهُ البيضاء في الفضاء فتسبي هذه المشاهد الرائعة لبَّك وينتشي عقلك بخمرة السرور

لقد هاج بنا الشوق الى زيارة دير مار اليشع القديم في الوادي فما ترددنا في تلبية رغبة النفس فهبطنا اليه في طريقه الصعبة المنحدر. ولمَّا دنونا منه شعرنا بتأثير عميق لا يمكننا التعبير عنه. واستنشقنا من أرجائهِ أرَج القداسة والتقى واستعاد التفكر الى ذاكرتنا حياة مؤسسي رهبانيتنا فيه قراعلي وفرحات والبُتن وسواهم من الرهبان الذين حبسوا انفسهم في غرفه الضيقة يمارسون ضروب التقشف والنسك ويحيون حياةً هادئة مطمئنة لا شغل يلهيهم عن خدمة الله تعالى. فأعجب عارفوهم بسموّ فضيلتهم واكبروا عقلية تلك النفوس الزاهدة بسفاسف الدنيا. ومن الذين زاروهم من السيَّاح واثنوا الثناء العاطر على راسخ فضيلتهم الاب پتيكه (Petitqueux) اليسوعي فقال عنهم «انهم يدقّقون في حفظ فرائضهم اشدّ تدقيق ولاسيما فريضة الصمت والصوم الشاقّ. ولا يأكلون اللحم البتَّة. وقد كانوا لنا اعظم قدوة في شدّة حرارتهم في الصلاة وفرط احتشامهم في الكنيسة...»

في دير مار اليشع ذكرنا النابغة القس جبرايل فرحات الذي زجّى فيه سنيّة عديدة يتمرّس على قهر النفس ويعكف على التحرير والتحبير فأبرز لنا من دير مار اليشع تلك التآليف العالية الغالية التي احصتهُ في مصافّ رجال الدين والعلم. وهناك نسخ بيده لاول مرَّة قاموسهُ. وهذه النسخة في مكتبة بكركي انتهى منها المؤلف في آخر شهر ايلول سنة ١٧١٨. وجاء في صفحتها الاخيرة ما حرفهُ:

«تمَّ نسخ هذا الكتاب بخطّ المؤلف المذكور من التاريخ المذكور وهي النسخة الاولى لهذا المؤلف فالبها المراجعة وعليها الاعتماد «لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العليّ العظيم وعليه الاعتماد. ربنا

لا تؤاخذنا. وهو برسم الابن المجيد والولد السعيد الشماس اغوسطين بن يوسف بن اغوسطين الندي الماروني الحلبي قرّن الله حياتهُ بسعادة الدارين امين »

ومع عظم شأن هذا الدير لم نعثر على تاريخ بنائهِ وغاية ما وقفنا عليهِ ما ذكرهُ العلّامة الدويهي في تاريخهِ (ص ١٥٩) :

« في سنة ١٥٣٣م (٨٩٤٠) عُني القس جرجس بن حرواص من قرية مرجس ببناء دير مار اليشع وتوسيعهِ واتفق على ذلك ١٣,٧٥٠ درهماً هذا ما خلا الصدقات التي تبرّع بها اهل البرّ. وكان المقدّم حنا عبد النعم مسنداً لهُ في ذلك. وهكذا الحاجّة سارة رفيقتهُ في النسك اشتركت معهُ في النفقة على البنيان. وكان البنّاء المعلم ابرهيم الحصروني ابن عم المنوري موسى الذي بنى المأذنة في طرابلس عند قبّة النصر. »

وهذا الدير كان لاهالي بشراي فأكرههُ الرهبانيّة فجددت بناءهُ وانفقت عليه خمسة الاف وثلاثمائة وستين غرشاً وعهدت برئاستهِ الى القس عبدالله قراعلي (١)

ومن الآثار القديمة التي لم تزل محفوظة في دير مار اليشع صورة النبيّ اليشع قابضاً على صحيفة مكتوباً عليها الفصل العاشر من نبوّة اشعيا وفي نهايتهِ هذه العبارة بخطّ كرشوني : « اوقفها (اي هذه الصورة) لدير مار اليشع بشرّي شماس الياس الحلبي قراعلي سنة ١٧٠٧م، ثم تلاها هذه الكتابة بالعربي وهي : « بيد خوري غفريل سنة ٧٠١٠ لآدم (١٨٠٢م) »

وفي هذا الدير يقيم راهب كاهن بصفة حبيس يدعى القس انطونيوس غصن من الديمان وعمرهُ ٤٩ سنة

وقد كان في دير مار اليشع كتب خطيّة قديمة نُقد معظمها . وما بقي منها نُقل الى الدير الجديد وهي كتب صلوات سريانية (متعبدات) مجلّدة بقطع من خشب ملبّس بجلد مكتوبة على ورق سميك منها :

١ كتاب صلوات (متعبد) القديس مـ؟ـمـ مـ؟ـمـ مـ؟ـمـ (فورياقس ويوليطا) امه ويوحنا المعمدان في آخر كل صلاة ترجمة صاحبها. وهذا الكتاب خط جبرايل احقر تلاميذ الحبيس يونان (٢ من اهدن كتبهُ في قزحيا سنة ١٨٤١ يونانية ويطلب الناسخ الذكر لمعلمه الحبيس وللقس الضمين منهُ. طول هذا الكتاب ٣٢ سنتمتراً عرض ٢١ عدد صفحاته ٢٠٦ . ٢ كتاب

١) راجع تاريخ الرهبانية اللبنانية (ص ٢٤)

٢) راجع ما كتبهُ جبرائيل هذا الاهدني عن معلمه الحبيس يونان . الدوجي ص ١٦٢

اناجيل الرسل الاربعة بالسرياني خط القس سركيس ابن القسّ حنا ابن الخوري ابر بهر من بشري سنة ١٨٣٤ يونانية (١٥٢٢م) وبعد ذكر اسم الناسخ بالسريانية تلي هذه الكتابة بالكرشوني : «لما كان تاريخ سنة ١٦٣١ مسيحية وقف القس ادم الزارية التي في جبرة ارض نصريّة بنت سنويل (كذا) في جزاير الصافرة للقديس مار غايل المحبسة جبرة مار اليشع وقفاً ثابتاً . . .» .

٣ نسخة ثانية من كتاب الاناجيل بالسريانية والعربية خط مرقس سنة ١٨٦٩ يونانية (١٥١٧م) وبعد ان ذكر الناسخ اسمهُ مرفوقاً بعبارات التحقير قال :

«اذكروا يا اخوتي معاشر اخيس يوحنا والقس جبرايل والقس ملك لان لهم عليَّ فضل واحسان كثير وايضاً القس والشماسة الفاطنين في قوزحيا وفي مار غايل لاني كتبتهُ وانا ساكن عندهم»

٤ كتاب (متعبد) يحتوي صلوات تتلى في اعياد بعض القديسين منها صلوات مار اليشع . وجاء في اخر صلاة ستّار الشهداء ما حرفيته : «وكان الفراغ من هذه الصلاة المباركة في سابع عشر من شهر نيسان المبارك سنة ١٧٠٠م على يد احقر الناس وارذلهم شماس عطاالله زنده وقد اوقفها لدير القديس مار اليشع في نواحي طرابلس . . .»

٥ صلوات القيامة . وجدنا في آخر ورقة منه بخطّ كرشوني ما يلي : «لما كان تاريخ شهر كانون الثاني سنة ١٧٧٠ لاسكندر اليوناني ابن فيليبّوس (١٤٥٩ م) اوقف هذا الكتاب المبارك لقيامة سيدنا يسوع المسيح المقدّمين عبد المنعم ابن الدين والحاج بدر ابن قر للقديس الفاضل المبارك مار برصوما المدور بقرية بشري اوقفهُ من انفسهم وانفس اجسادهم وعن اولادهم وعن نفس المقدم رزق الله وعن ابنهِ يعقوب ويسألوا كل من يقرأ فيه يطلبوا لهم الرحمة والمغفرة للخطايا من الربّ سبحانه وتعالى وأكلام صفة المتكلم وكتبهُ ابن العمّ ابن الدين (١ . »

٦ كتاب ميامر ومواعظ القديس افرام السرياني وفيهِ وصيتهُ الاخيرة التي انفذها الى مدينة الرها . وكلها مترجمة من السريانية الى العربية . دون ذكر مترجمها . وقد جاء في آخر الميامر ما يلي : «تمّت وكملت بموتهِ تعالى الميامر لابينا الجليل في القديسين افرام السرياني ثم بيمراه التابعان لها مع وصيتهِ وذلك على يد احقر عبادهِ راهب من الرهبان اللبنانيين سنة ١٧٣٢م في ٢٩ نيسان .»

ويتبع هذه الميامر رسالة القديس يوحنا فم الذهب الى بعض محبي المسيح القاطنين في العالم . ثم مديح قالهُ القديس غريغوريوس اسقف نيصص في الاب القديس البار افرام السرياني . ثم رسالة ارسلها ديونيسيوس الكبير الى تيموثاوس الرسول تلميذ

١) قد ذكر الدويهي في كتابه الاحتجاج الخطي ان عبد المنعم كان شاباً غاوياً جاهلاً العلوم والمعارف . وقد مال الى الرهبان اليعاقبة الذين حضروا عرسه وجادوا عليهِ بالنقوط ووعدوهُ بصلات وافرة فراقه مقدمهم . ولما انتهى حُكم البلاد اليه اعطاهم مواضع لسكناهم وبنى لهم كنيسة على اسم برصوما بالقرب من داره . . . طالع ايضاً تاريخ سوريا (٦ : ٥٧٢-٥٧٩)

بولس السليح من اجل شهادة الرسولين بطرس وبولس . بها يعزيه على فقدهِ معلمهُ القديس بولس . وهي آية في الرقة والبلاغة

بقاع كفره ، الارز ، بشرّاي

ومن ديرمار اليشع توجهنا الى قرية بقاع كفره مستقط رأس الحبيس المشهور الاب شربل مخلوف . وهي قائمة على رأس ربوة عالية معرّضة للرياح الباردة القاسية . وتعلو عن البحر نحو ١٧٠٠ متر . وجدنا فيها من الكتب الخطية ما يأتي بيانه :

عند حضرة الخوري بولس مخلوف : كتاب فصول الخطاب والتحفة السرّية لفرحات والاجرومية وكتاب حل بعض صعوبات الكتاب المقدس للمطران سمعان عوّاد . وعند اسحق بطرس الخوري مخلوف : الجزء الثامن من لاهوت كلودیوس وكتاب الرياضة لفرحات ونسخة من ديوانه . وعند الشماس انطونيوس عيسى الخوري مخلوف : كتاب بحث المطالب . وفي كنيسة السيدة : نسخة من الانجيل

وقد اهتمّ حضرة الخوري بولس مخلوف المعروف بغيرتهِ على صالح ابناء رعيته بهدم هذه الكنيسة الضيقة على الاعالي وقام ببدلها كنيسة جديدة بديعة الهندسة يبلغ طولها ٣٨ ذراعاً وعرضها ١٨ ذراعاً

وفي غرّة تشرين الاول قصدنا الارز التي يرتفع عن البحر ستة الاف قدم ومتّعنا العين بجمالهِ وجلالهِ . وقد جلسنا في ناحية منه محتزين الناس التشرين تحت ظلالهِ متأملين في دوام الخالق وزوال الدنيا وفي قدم الارز وما تولى عليه من الايام والسنين فأثرت في قلبنا هذه التذكارات اي تأثير . قال العلامة ميشان (Mgr Mislin) :

« ليس في العالم باجمل من موقع الارز . فمن يزورهُ الناس من جميع البلدان فيجدون في رؤيتهِ ابدع مشهد ويشعرون بأعظم لذة . وفي حول الارز يبتلع نبع جاديشا الشهير ويُسمع لخريره نغمات مطربة . وهناك مغارة تحجرت فيها المياه وتكونت في سقفها ذيول وشموع ظريفة الشكل مما يُبهر النواظر »

وبعد ان شبعت العين من التمتع بمنظر الارز انحدرنا الى بشرّاي البلدة الجميلة الشهيرة بطيب هوائها وجودة مناخها وجمال مشاهدها الطبيعية الفاتنة . فألفيناها تعجّ بالمصطافين عجيجاً وتزدحم في اسواقها النظيفة اقدام الغرباء الذين يلقون في اهلها

الكرام كل انس ورعاية. ولابناء بشرّاي عطفٌ خاصٌ على الغريب فينزل في ديارهم على الرحب والسعة كأنه بين اهله وخلّانه. وهم اناسٌ عُرفوا بكرم الاخلاق وجودة العنصر وشدّة الباس ورباط الجأش في الحروب فهم ابطال شمالي لبنان مع رسوخ قدمهم في عقيدتهم الدينية. ولا تدخل كنيسةً من كنائس بشرّاي الّا وتجد فيها رجالًا ونساء ساجدين امام القربان الاقدس يتلون بحضرته الالهية الصلوات الخاشعة ممّا ينعش في قلبك حرارة الايمان ويدعوك الى الثناء على تديّن القوم. وهذا ما وجدناه فيها من المخطوطات:

في كنيسة مار سابا: ١ً كتاب الانجيل وقفه عليها المطران جرمانوس فرحات وعلّق عليه بخطه عبارة الوقف وسهرها بختمه. ٢ً كتاب الخاش (صلوات سبّة الآلام) رأينا فيه سِيَرًا «قالهُ القديس يعقوب اسقف مدينة سروج على اللص الذي صُلب مع سيدنا وايمانه به والملاك الحافظ الفردوس. يُقرأ في يوم جمعة الصليب». ٣ً كتاب تشحّث (مجموع صلوات) منها صلاة القديس توما الدليح. ٤ً كتاب متعبد. فيه صلاة القديس يوسف وعيد القربان المقدس ومار سابا وتمّ نسخهُ سنة ١٧٠٨ وقد عُلق على اول ورقة منهُ عبارة وقفٍ (كعبارة وخط الانجيل من قلم فرحات) ولدل صلاة مار سابا من تأليفه. ٥ً كتاب آخر متعبد يحتوي صلوات بعض الشهداء ومار بهنا ومار الياس التيّ (١ وغيرها من التديين. وقد جاء في آخر صلاة مار الياس ما يلي: «كملت على يد العبد الخاطئ الحقير المسمّى عبد المسيح بن بطرس الماروني الحلبي وذلك سنة ١٧٠٩ في ت ١.»

٦ً كتاب الخطب الدينية ترجمها من السريانية الى العربية القس جبرايل فرحات. خطّ الشدياق ابرهيم جلوان السرياني من تلاميذ مدرسة روما سنة ١٧٢٢ وخادم قرية تولا الجبة سنة ١٧٣٦.

وعند حضرة الخوري جرجس الشدياق: ١ً قراطيق سرياني تأليف الشدياق جرجس الباني حصنَ سنة ١٥٩٦. ٢ً كتاب مختصر اللاهوت لشقيقه المرحوم الخوري يوسف. ٣ً قراطيق آخر سرياني للفاخوري. ٤ً التحفة السرّية لفرحات.

وعند حضرة الخوري يوسف بطرس الشدياق: ١ً كتاب المحاورات الرهبانية لفرحات. جاء في اخره: «وقف لدير القلب الاقدس في بكركي. كل يد احقر بنات قلب يسوع وردة هندية الخاطية». وخطه عربي جميل.

٢ً كتاب خطهُ عبد المعطي بن جرجس المسابكي الماروني بدمشق الشام سنة ١٧٣٣ يحتوي نبذة في الصلاة العقلية وفوائدها وعشرة تأملات لازمة لكل مسيحي وتأملات مختصرة على عدد ايام الشهر «استخرجها من اللغة الافرنجية الى اللغة العربية احقر اولاد المدرسة المارونية الشدياق

١) قد طبع هذه الصلاة السريانية السيد ميخائيل الخوري مطران حلب سنة ١٩٢٥

يوسف الحلبي اصلاً الماروني ملّةً وذلك في سنة ١٧٠٥م ويشتمل ايضاً على ٦٩ نصيحة للتدبية ترازيا ثمّ بعض نصائح من كتاب مرآة الانفس وتسمّى رؤوساً وعددها ٣٢ رأساً . ثمّ رسالة تسمّى (منهج مستقيم لبنية التيم) مؤلف الاب الفاضل لابل والفيلسوف اللاهوتي النبيل الخوري بطرس (النولوي) ايكونوموس طائفة الموارنة بحلب سنة ١٧٠٦ م ومدار هذه الرسالة على الصلاة العقلية

٣ كتاب يشتمل على اخبار الاعتراف وفيه بعض زجليات روحية قديمة منها للمطران يواصاف البكتناوي . ٤ كتاب تاريخ النطاوريني . ٥ كتاب خبر سيرة حيقار وزير سنحاريب ملك اشور . وفيه نبذة فواتحا : (تواريخ عن بعض حوادث صارت في الجبل سنة ١٨٦٠)

ودّعنا بشرّاي في اليوم الثاني من تشرين الاوّل وقلبُنا يلهج بالشكر والثناء على مكارم اهلها ولاسيما على حضرة الاب المفضال الخوري يوحنّا الشدياق الذي تلطف وهدانا الى كل هذه المخطوطات . وعلى جناب المصوّر البارع بطرس افندي الشدياق الذي تكرّم علينا برسوم الأرز ونبع قاديشا ودير مار اليشع . فسرنا ميمّمين دير قزحيًا

دير مار انطونيوس قزحيًا

وقد عرجنا في طريقنا على مدرستنا في بان ومكثنا فيها يومين . وانتقلنا الى عنطورين فوجدنا فيها عند جناب الشيخ نعمة الله ابي خطار من الكتب الخطيّة كتابي صلوات جمعهما جدّ والده الشماس انطونيوس ابن ابو خطار الشدياق من بيت الحج عبد النور صاحب التاريخ المعروف باسمه سنة ١٧٩١ . ومن عنطورين نزلنا في طريق جبل منحدر الى دير قزحيًا

ان هذا الدير قديم الاجيال . وقد ذكر العلّامة السيد يوسف الدبس في كتابه الجامع المفصّل صفحة ٢٠٢ انه ورد في براءة البابا اينوشنث الثالث الى البطريرك ارميا في سنة ١٢١٥ ذكر دير قزحيا بمنزلة اول كرسي لاساقفة الوارنة . وقد علّق البطريرك بطرس وهو يوحنا اللحفدي على كتاب الاناجيل عبارة تنبئ بانّه حضر اليه سنة ١١٠٤ الراهب اشعيا من دير قزحيا ورأسهُ على دير الكوزبند في قبرس

واتصل دير قزحيا بالرهبانية من المطران يوحنا حبقوق سنة ١٧٠٨ وقد انفقت

في ذاك العصر على تجديد عماره نحو ٢٥٠٨٦٧ غرشاً (١ . وفي جنب دير قزحيا عدة محابس منها محبسة مار مخايل القائمة غربي الدير بناها القس بركات البقوفاوي سنة ١٤٩٥ ومات فيها كما افاد المطريني في تاريخه . وقد ذكر حضرة الاب جبرايل مجلي اللبناني في تاريخ دير قزحيا الخطي قال :

١) طالع ما جاء عن تاريخه ومطبوعات مطبعته المشرق (٣ : ٢٥٧) و (٦ : ٨٧٢–٨٧٧)

« انما عبارة عن كنيسة صغيرة فيها ثلاثة مذابح جميلة مبنية تحت الصخر وحيطانها مكلّسة تكليساً متقناً يخال للناظر اليها انها صنع يد عصرية مع انها قديمة جداً. والداخل اليها يشعر حالاً برواتح القداسة المنبثة منها. وبالقرب منها غرفتان في مغارة هُدم مدخلاهما حديثاً. ويحتوي هذه المحبسة مغارة ايضاً تدلُّ آثارها انها كانت آهلة بالسكّان يوم كانت محبسة مار مخايل في سمت عزّها. »

ومحبسة مار بيشاي ذكرها الدويهي في كتابه تاريخ الازمنة الخطّي فقال:

« في سنة ١٥٢٦ ان الخوري يونان القربتي رئيس دير مار انطونيوس قزحيا نقض قلّعة الجبس وجدده وزاد على مذبح ماري بيشاي مذبحين آخرين احدهما على اسم السيدة والاخر على اسم مار مخايل رئيس الملائكة. . . »

وقال السيد فرحات الذي نسك في هذه المحبسة (راجع ديوانه ص ١٤٦)

« في سنة ١٧١٢ ابتدأ الرهبان بعمار محبسة مار بيشاي وكانت خربة فعمّروها واوسعوها وقرروا فيها مغارة وسكنها رهبان عديدون وهم تحت طاعة رئيس دير قزحيا ويشتركون في معيشتهم وواجباتهم الدينية مع رهبان الدير المذكور »

وقد وصفها الاب جبرايل مجلّي في تاريخه الآنف الذكر قال:

« موقع هذه المحبسة غربي دير قزحيا وشرقي بيت الضيافة مبنية باللبن وقليل من الحجارة. فيها قاعة واربع غرف صغيرة وثلاث مذابح. وثلث ثالثها منقور في الصخر والثلث الآخر مسقوف. وفي القاعة سرير منقور في الحجر معدّ لرقاد راهب واحد. وفي احدى الغرف وهي التي كان يسكنها الرئيس او كبير الجماعة مقعد صغير ومسند كلاهما منقوران في الصخر يدلُّ ظاهرهما على ان ذلك الرئيس او الجليس كان يقضي ساعات الليل جاثياً مصلياً واذا دهمهُ الوسن يلقي يدهُ على المسند الحجريّ فيأخذ قليلاً من الراحة. وعند اسفل درج هذه المحبسة يميناً وشمالاً محبستان قطنهما الرهبان الاقدمون مدّةً طويلة. وبالقرب منها لجهة الشرق محبستان ايضاً وكلها محفورة في الصخر. وقد جعل الرهبان من بضع سنين ثلاثاً منها مدافن للراقدين بالرب في دير قزحيا. »

ومحبسة القديس بولا. شادها الرئيس العام الاب عبدالله قرا علي سنة ١٧١٦ على قمة رابية عالية قبالي الدير تبعد عنه مسافة ثلث ساعة واسكن فيها رهباناً حبساء. وفي سنة ١٨٩٨ جدّد بناءها الحبيسان الابوان مارون مجلّي السرعلي وصرقس ايطو. والحبيس الذي يقيم فيها حالياً هو الاب افرام بقاع كفره. ولم تمكنّا كثرة اشغالنا من زيارة هذه المحابس لنتبسّط في الكلام عنها فاكتفينا بما ورد ذكره.

وقد طارت لهذا الدير شهرةٌ عظيمة للكرامات العديدة التي تجري فيه واهمّها

شفاء المسوسين من الارواح الشريرة في مغارته العجائبية التي يقصد زيارتها الناس من جميع الانحاء على اختلاف مذاهبهم. وفي هذا الدير يُطبع كتاب القديس انطونيوس الكبير المعروف بكتاب قزحيا. وقد اطلعنا على رقيم من السيد النائب البطريركي المطران مخايل الخازن تاريخهُ ٢٦ تموز سنة ١٧٨٠ حرَّره في دير سيدة ميفوق يحظر على الرهبان الحلبيين والمنتمين الى ماري شعيا طبع الكتاب المذكور وتوزيعهُ ويخصهُ برهبان ماري انطونيوس قزحيا اللبنانيين البلديين بموجب امر الكرسي الرسولي

ان تقلب الايام وصروف الحدثان قد اتلفت وضعضعت الكتب الخطية القديمة الثمينة التي كانت مدونة في دير قزحيا ولم يبق منها سوى الآتي ذكرها وهي محفوظة عند حضرة الاب فرنسيس فخري البشرّاوي وهذه اسماؤها :

١ً كتاب مجموع صلوات. ٢ً رياضة القديس اغناطيوس خطَّ سنة ١٧٦٧. ٣ً مزامير داود النبيّ سرياني وعربي خُطَّ سنة ١٦٦١ في مار يوحنا قرية سلي (حنان) (كذا) في جبّة المتن. ٤ً اجزاء عديدة من العلم اللاهوتي لكلوديوس. ٥ً اباطيل العالم. ٦ً كتاب ليوحنا الدمشقي بحث في الصلاة وازدياد الكنيسة وطبيعتي المسيح ... ٧ً قاموس سرياني خط شماس موسى أبي [illegible] سنة ١٧٠٢. ٨ً منطق القس يواكيم الباسيل. ٩ً [illegible] ١٠ً اغراطيق سرياني. ١١ً رتب وحازات. ١٢ً اسئلة في اللاهوت. ١٣ً كتاب اخص قوانين التوبة حسب نظام الدير وعاياه الاهلية قد جُمعت من بعض جوامع ومن كتب التوبة جاء في اخره :

« ولقد اعتنى بترتيب هذا الكتاب وترتيب نظام تأليفه الاب المكرَّم والملاهوتي المفخَّم معلمنا وابونا القس بطرس النولاني واعظ مدينة حلب وذلك سنة ١٦٩٧ »

١٤ً اغراطيق سرياني يسمى « كتاب التسهيل لكل شرح مستطيل » قد ابان مؤلفهُ في المقدمة انهُ وضعهُ لاهل اللغة العربية من اهل زمانهِ ليسهل عليهم معرفة ما يقصدونه من فهم اللغة السريانية. ١٥ً مجموعة قصائد وانشيد سريانية لابن العبري وللمطران يوسف الحصني مطران عين ورقاء. ١٦ً كتاب التحفة الدرّية للمطران جرمانوس فرحات. جاء في اخره :

« انتهت كتابته يد الحقير القس عبد المسيح الماروني الحلبي بايام سيدنا ومطراننا ماري جرمانوس (فرحات) المكرَّم في ٩ ايار سنة ١٧٣٢ في حلب. »

١٧ً كتاب تأملات. ١٨ً حوادث الاعتراف. ١٩ً مقالات زهدية ليوحنا رئيس دير طورسينا خطَّ عربي جميل. ناقص فهرسه جاء في اخره : « علقهُ بيده الفانية العبد الذميف النحيف المعترف بذنبه التائب الى ربّه ثنجه (١ ابن الخوري جرجس الحموي في سنة ١١٢٧ سيحية. »

---

١) اطلب المشرق ٢١ [١٩٢٣]: ٧٢٧

وقد انتقل هذا الكتاب الى الحجّ مخايل (١ ابن الحج فرحات

٢٠ المصبح الرهباني في شرح القانون اللبناني. ٢١ كتاب طبّ قديم. ٢٢ رسالة مختصر التعليم بالكمال لفرحات. ٢٣ كتاب مواعظ. ٢٤ كتاب الفصاحة الجزء الاول. يقول مؤلفه انهُ يقدمهُ للسيدة العذراء. ٢٥ كتاب آخر مواعظ. ٢٦ تفسير بعض صعوبات في الكتاب المقدس للمطران سمعان عواد. ٢٧ العلم الطبيعي للسيد السمعاني. ٢٨ مجادلة ومحاورة دينية صارت بين الراهب جرجس رئيس دير القديس سمعان البحري وبين ثلاثة انفار من المسلمين في حضرة الملك الظاهر غازي بن يوسف الصلاح على امة الاسلام بمدينة حلب سنة ١٢١٧م وكان الفراغ من نسخها على يد القس يوسف بن مبارك سنة ١٦٧٧ (٢ وتلي هذه المحاورة محاورة اخرى تأليف احد الرهبان تسمّى «ايضاح الدين» وهذا ابتداؤها :

«كتاب ايضاح الدين تقدمة الفخر ملّة المسيحية اعظم المشايخ المؤمنين نادر ابن الخازن الشيخ المكرّم ابو نوفل. من العبد الفقير الراجي عفو ربهِ العظيم. . . باسم راهب قد وضعها مؤلفها اجابة لبعض السادة المسلمين الذين سألوا عن صدق الدين والبرهان والتسوا من حقارته البيان. وهي على طريقة السؤال والجواب

٢٩ كتاب في بيان وتثبيت الاكرام المقدّم للقديس يوحنا المروي المكنّى مارون اول بطاركة الملّة المارونية. وفيه رسالة للمطران ارسانيوس شكري رئيس اساقفة حلب المارونية الى البابا اكليمنضوس الثالث عشر يبيّن فيها المنازعات التي حدثت في مدينة حلب بخصوص الاكرام المقدّم للقديس يوحنا مارون.

هذه هي الكتب الخطيّة التي وقفنا عليها في دير قزحيّا. وبعد ان روّحنا النفس فيه مدّةً من الزمان توجهنا الى دير مار سمعان القرن لزاهباتنا اللبنانيات وهو يضمّ عشرين راهبة. ورئيستهُ من بشرّاي وهي حضرة الام يوسفيّة رحمه المعروفة بغيرتها على نجاحه وحسن ادارة شؤونه (٣

دير سيدة بصرما

بعد ان أبلّلنا من مرضنا في دير مار سمعان القرن قصدنا دير سيدة النجاة في بصرما فمررنا في طريقنا على المدرسة الوطنيّة بداريًا التي يديرها حضرة الاب الفاضل

١) هو المطران يوسف مبارك الزيتوني

٢) ان مخايل هذا هو شقيق المطران جرمانوس فرحات

٣) قد ارجئنا الكلام عن هذا الدير وعن مدرسة بان الى ترجمة الطيب الذكر الاب افرام جمجم البشرّاوي التي ننشرها قريبًا على صفحات هذه المجلة ان شاء الله

الخوري لويس العَلَم المشهور بغيرته الدينيَّة وعطفه على اليائسين والفقراء فرأيناها غاصَّة بالتلاميذ الذين يتلقَّنون العلم ممزوجاً بروح الدين والتقوى. وعند الغروب وصلنا دير بصرما

في سنة ١٨٨٦ فُصل قسمٌ من ارزاق دير قزحيا في بصرما في عهد رئاسة الاب مرتينوس سابا القسطاوي العامَّة وباشر الطيِّب الذكر الاب دانيال العَلَم الحدثي بناء دير جديد فيها على الطرز الحديث. ولم يكن في تلك البقعة المأهولة بابناء طائفتي الروم الارثوذكس والاسلام معهد ديني . ولما تمَّ عمار الدير نشطت الرهبانية الى بناء كنيسة رعائية لاهل بصرما ومدرسة مجَّانية لتعليم الاحداث

اقمنا في دير بصرما يومين ورجعنا الى دير سيدة ميفوق. ثمَّ توجهنا الى قرية بجَّة فوجدنا فيها الكتب الخطية الآتية عند حضرة الخوري بولس الحسيني :

١ كتاب مختصر علم الذمَّة مترجم من اللاتينية الى العربية لافادة كنيسة المشرق. وهو بخط الخطَّاط الشهير الذي قلما تخلو كنيسة من كنائس لبنان من خطه السرياني الجميل الخوري جرجس سعد البجاني سنة ١٧٦٣ والمتوفى في ١٩ حزيران سنة ١٧٨٦ . ٢ مختصر انشاء [illegible] . ٣ كتاب الاوراس العليَّة يبحث في [illegible] تركيب الادوية . ٤ [illegible] فيه صورة [illegible] في [illegible] سيدة سركيس بطريرك الموارنة سنة ١١١٥٩٦ . ٥ كتاب الانجيل [illegible] يعقوب الرهاوي ومضافاً اليه رد الطاران يواصاف البسكنتاوي الماروني [illegible] والسيد ملحمه والسيد عبنا الدين اللذين ارسلاها اليه. وهي تشتمل على الطعن في الامة المسيحية

ويوجد ايضاً عند جناب الخواجا طنوس حنا سعاده كتاب الفتاوى الخيرية في الامور الشرعية. وفي بيت المرحوم الخوري حنا مارون كتاب تفسير بعض فقرات من الكتاب المقدس القديم والجديد تأليف المطران سمعان عوَّاد الحصروني . وهذا الكتاب مجلَّدٌ كبير انما هو مخروم من آخره وهو خط الشدياق انطون ابن الخوري سمعان من قرية غسطا من بيت شهوان سنة ١٧٣٢

وسرنا من بجَّة الى دير مار يوسف الضهر قاصدين دير سيدة المعونات فبلغناهُ في ٢٩ تشرين الثاني شاكرين مراحم وافضال السيدة العذراء التي حفظتنا وارجعتنا اليه سالمين ومختتمين رحلتنا هذه بتحيَّتها اللطيفة قائلين لها: السلامُ عليكِ يا مريم

---

١) قد نشر هذا المجمع حضرة المونسنيور جرجس مشي في كتابه التحفة الادبية. وذكره صاحب تاريخ المقاطعة الكرواتية ص ٢٣٦-٢٤٠

ملحق بكتاب

بيروت تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد وقفنا في اثناء نشرنا لهذا الكتاب على معلومات شتى تفيد معرفتها تاريخ بيروت فلم نشأ ان تُفقد هذه الشذرات فجمعناها في هذه النبذة كملحق لما سبق في المشرق. والدلالة في هذا الملحق على اعداد سنتي المشرق ١٩٢٥ و١٩٢٦

١٩٢٥ الصفحة ٥٦ س٢ (نظر عامّ في تواريخ بيروت) يحسن بنا ايضاً ان نذكر بعض تآليف مختصرة ابرزها المحدثون في انسات شتى عن بيروت واخبارها اقدمها مقالة مستملحة وضعها باللاتينيّة الالماني حنا ستروخ لينال بها في وطنه رتبة الدكتوريّة سنة ١٦٦٢ عنوانها « J. STRAUCH : Berytus » فضمّنها عدّة معلومات لاسيما عن بيروت الرومانيّة

ثم نشر داود افندي كنعان في مجلّة الجنان البيروتيّة سنة ١٨٧١ تاريخاً مختصراً لبيروت دعاهُ «جواهر ياقوت في تاريخ بيروت»

وفي السنة ١٩١١ــ١٩١٢ نشر حضرة إستاذ الكلية الاميركانيّة هوفي پركر مقالات انكليزيّة في تاريخ بيروت طبعها على انفراد في كتاب صغير (H. PARKER: History of Beirut)

وفي العام الماضي ١٩٢٥ نشر جناب الاستاذ المحامي جورج افندي يزبك محاضرة كان القاها في مربع تباريس عنوانها «بيروت في التاريخ» استعان فيها بتآليفنا السابقة ــ ص ١٢٨ س١٦ ــ ١٧ (مغارة انطلياس) نشر جناب الاستاذ داي نتيجة حفريّات قامت بها الجامعة الاميريكيّة مؤخرًا في وادي انطلياس قريباً من مغارتها فبلغت الى عمق ١٥ متراً وعثرت على ضروب من الظرّان ومن عظام الحيوان التي اصطادها القدماء. كما كان بيّن ذلك سابقاً العلّامة ترستام وحضرة الاب زُمرفن لاذومنّن كما تصحّف اسمهُ في الكليّة ص ٤٩٦). فليراجع ايضاً الفصل الذي كتبهُ

العلّامة دي مورغان في مجلّة سيريا DE MORGAN: L'Industrie Néolithique dans le Proche Orient, *Syria*, IV, 36-37
١٩٢٥ ص١٢٨س٢٤ (انتهز) . . . التبزة

— ص ٣٧٣ س ١٨ (استشهاد القديس جرجس) كتبنا في ذلك مقالة واسعة بمناسبة المئة السادسة عشرة لاستشهاده (في المشرق ٦ [١٩٠٣]: ٣٨٥ و ١٠ [١٩٠٧]: ١١٤)

ومما فاتنا ذكرهُ التقليدُ القائل باستشهاد القديسة بربارة في مدينة بيروت . واليه يشير صالح بن يحيى في تاريخهِ (ص ١٧) : « ويزعم النصارى انَّ البربارة كانت قديسةً ولها نشبٌ كبير ببيروت وعيد البربارة منسوب اليها » . راجع فصلنا عن عيد القديسة بربارة في سوريَّة (المشرق ١ [١٨٩٨] : ١١٣١ — ١١٣٩) . وكان القديسة بربارة كنيسة شهيرة في بيروت بقيت مكرَّمة الى القرن الخامس عشر فاغتصبها الموارنة من النصارى وحوَّلوها جامعاً كما ورد في تاريخ الاب فرنسيس سوريانو الراهب الفرنسيسي FR. SURIANO: Il Trattato di Terra Santa, ١٤٩٦ وهو يروي (ص ١٧٨) انَّ هيلانا سكرم في احدى كنائس مريم العذراء في القاهرة (كذا)

— ص ٣٧٣ س ٢٢ (مدرسة الفقه الرومـاني في بيروت) خصصنا لذكر هـذه المدرسة فصلاً آخر في المشرق (٢٣ [١٩٢٥] : ٧٢١ — ٧٣٣) وفيه نظر تاريخي انتقادي على تاريخ جديد لمدرسة بيروت الفقهيَّة الرومانيَّة نشرهُ احد كبار اساتذة الفقه المسيو پول كوليه تحت هـذا العنوان PAUL COLLINET: Histoite de l'Ecole de Droit de Beyrouth وفيه معلومات واسعة عن بيروت وعلومها الفقهيَّة ومشاهير اساتذتها وطلبتها . وممَّن ذكرهم زكريَّا الخطيبُ في اواخر القرن الخـامس قزمـا الكاهن خادم كنيسة الرسول بهوذا في بيروت . ومرتيريوس احد قرَّاء كنيسة بيروت وبعض اعيان المدينة كيوحنَّا بن قسطنطين وبوليكربوس . ووصف بالغيرة يوحنَّـا اسقف بيروت في زمانه

— ص ٥٢٢ س ٢٤ (حريق بيروت سنة ٥٦٠ م) قد ظهرت آثار هـذا الحريق لمَّا بوشر بالحفريَّات في زمن اخرب الكونيَّة بأمر الوالي عزمي بك قريباً من جامع يحيى

في غربيّه فانكشفت بقايا كنيسة قديمة من عهد البوزنطيين كان سواد الحريق ظاهراً على حجارتها

١٩٢٥ ص ٦٢٣ س ٢١ (في عهد الدولة الاخشيديّة غزا الروم بلاد الشام...) قرأنا في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقية ما حرفهُ:

« في جمادى الاولى سنة ٣٦٤هـ (٩٧٥م) سار الملوك ناصر احد خدّام المعزّ لدين الله لمحاربة الروم فدخل بيروت ثمّ حارب الروم قريباً من طرابلس في شعبان فظنّهم الأرمن ملكهم ابن السمسكي (Zimisces) عاد مع جيش من الروم وانتصر على الملوك ناصر وامرهُ فطلب منهُ التمكين صاحب الشام امانًا الباد فنهادنا... ثمّ جاء بعدهُ الملوك رزبان الى الشام وانتصر على الروم»

— ص ٦٧١ س ٢ (الصليبيّون في بيروت) في زمن ولاية الصليبيين الاولى على الشام ألّف الشريف الادريسي كتابهُ نزهة المشتاق فذكر موقع بيروت «على ضفّة البحر وسورها المبني بالحجارة الكبيرة والجبل الواقع بقربة منها الذي يُستخرج منهُ الحديد الجيّد الكثير فيُحمل الى بلاد الشام». وكذلك ذكر غيضتها من اشجار الصنوبر على جنوبيّ المدينة وقال ان «تكسيرها اثنا عشر ميلًا في مثلها»

— ص ٦٧١ س ١٩ (الاسطول المصري في بيروت سنة ٥٤٦هـ). قال ابن المُيسّر في اخبار مصر (éd. Massé, p. ٩٦): «في تاريخ سنة ٥٥٢ (١١٥٧ م) ندب الملكُ الصالح (طلائعُ ابن رزيك) مراكبَ في البحر فسارت الى بيروت وغيرها فاوقعت بمراكب الفرنج فاسرت منهم وغنمت». وفي هذه السنة عينها حدثت زلازل قويّة في الشام كما روى ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة فخربت بسببها مدن كثيرة من جملتها بيروت

— ص ٦٧٢ س ١٢ (تسلّم صلاح الدين المدينة) فتح صلاح الدين مدينة بيروت في آب من السنة ١١٨٧م بالامان. وقد مرّ بها في السنة التالية ١١٨٨ السائح الرومي يوحنّا فوكاس (Jean Phocas) فكتب في رحلتهِ عن بيروت ما تعريبهُ بعد سيره اليها من جبيل (١

« فلاحت لنا بعد ذلك بيروت المدينة الكبيرة وهي حافلة بالسكّان تحيط بها البساتين ولها

---

١) نُشرت هذه الرحلة باللاتينية في المجلد الثاني لشهر ايّار من اعمال القديسين للبولنديين (Acta Sanctorum, vol. II Mari, p. III)

مرفأ شهير بحسنه. ليس هو من تكوين الطبيعة بل من عمل الصناعة وهو داخل في وسط المدينة على شبه الهلال. فترى برجين كبيرين قد شيّدا على طرفيه يمتدّ بينهما سلسلة ضخمة تتصل من الشرفات المراكب التي في داخل الدائرة. وبيروت تُعد كحدّ لغيزقية ولـوريّة»

١٩٢٥ ص ٧٧٥ س ٢٤ (تحصين الصليبيين لبيروت) يؤخذ من كتبة الفرنج في ذلك العهد انّ طول بيروت كان يبلغ نحو ٨٥٠ متراً وعرضها ١٠٠ متر (Rey: Colonies franques en Syrie)

ـــ ص ٩٤٤ س ١٨ (بيروت في عهد مماليك مصر) ورد ذكر بيروت في عهد مماليك مصر في تقويم البلدان لابي الفداء (ص ٢٤٧) فذكر لها برجين وبساتين ونهراً ووصفها بالخصب ونقل عن ابن سعيد كونها «مدينة جليلة ولها ميناء جليل» وروى انّ شرب اهلها من قناة تجرّ اليها الماء.

وذكرها بعده في القرن الخامس عشر خليل بن شاهين الظاهري في كتابه زبدة كشف الممالك وروى انها من معاملة دمشق يحكم عليها امير طبلخاناة ويقول انّ لها اقليماً به عدّة قرى

١٩٢٦ ص ٥٠ س ٦ (عالج عسكر الدين [illegible] ابن ناصر الدين

ـــ ص ١١٤ س ١٥ (الغزالي) اسمه جانبردي الغزالي كان من امراء المماليك في مصر جعلهُ السلطان طومان باي قائداً على جيشه لمحاربة سلطان الاتراك سليم الاوّل فكانت الدولة على المصريين سنة ١٥١٦ في خان يونس قريباً من غزّة. ثم انقلب الغزّالي على ملكه وعدل بالخيانة الى السلطان سليم فولّاه على دمشق سنة ١٥١٧

ـــ ص ١١٦ س ٥ (طاعون السنتين ٨٩٧ و٨٩٨). وقد ذكر الدويهي في تاريخ الازمنة طاعوناً آخر عظيماً حدث في بيروت سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٨م) فتك فيها بخلق كثير. ثم ذكر في تاريخ سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٢م) سيلاً جارفاً حدث في دمشق وفي سواحل الشام فهدم جسر نهر الكلب واحدث هيجاناً عظيماً في البحر حتى تجاوز ميناء بيروت

ـــ ص ١١٨ س ٣ (بيروت تحت حكم فخر الدين) استولى عليها سنة ١٥٩٨م بعد انتصاره على يوسف باشا سيفا في واقعة نهر الكلب وبسط سلطته على الشوف وكسروان

١٩٢٦ ص ٢١٦ س ٢١ (الاب فرنسيس سوديانو) نشر الاب غولوبوفتش كمقدمة لكتابه المتون Il Trattato di Terra Santa, p. XXIV-LXII ترجمة حياته المطوّلة راجع ما كتبناهُ عن قصادته الرسوليّة في سوريّة (المشرق ١٢ [١٩٠٩]: ٧). كان اوّل وصوله الى بيروت سنة ١٤٨٠ مع احد عشر راهباً من رهبانيّته

— ص ٢٦٩ س ١ (ظاهر العمر) يراجع في المشرق (٢٤ [١٩٢٦] : ٥٣٩— ٥٦٠) تاريخ الشيخ ظاهر العُمَر الزيداني الذي نشرهُ جناب الكاتب البارع الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف وفيه معلومات وافية عنهُ

— ص ٢٦٩ س ٢٣ (احمد باشا الجزّار) اثبتنا لهُ في المشرق (٢٤ [١٩٢٦]: ٣٣١) صورة بيورلدي وجّههُ سنة ١٧٩١ الى المشايخ الدروز ورعاياهم سكان الشوف والمتن وكسروان يتوعّدهم بأشد العقاب ان لم يكفّوا عن محاربة الدولة التركية

— ص ٢٧٣ س ٨ (النصرانيّة في بيروت في القرن الثامن عشر) اخذ عدد النصارى يزيد في بيروت خصوصاً في عهد ترقية المشايخ من آل الخازن الى قنصليّة بيروت. وقد جاء ذكر بعض اسرهم في التاريخ كبيت الدهّان رابي عسكر الروم وكمشايخ حبيش وبيت الثيّان وبيت ثابت وكميد وفاضل وادّه الموارنة . وقد مرَّ لنا في المشرق (٢ [١٨٩٩]: ٦٩٤—٦٩٥) ذكر الشيخ منصور ادّه وسَعْيهُ في بناء كنيسة القديس جرجس القديمة لطائفته المارونيّة

— ص ٤٦٣ س ٢—٣ (اوّل والٍ على بيروت عزيز باشا) بل كان اوّل والٍ علي باشا فتوفي بعد سنة ١٨٨٩ فخلفهُ عزيز باشا (١٨٩٠) ثمّ خالد بك (١٨٩٢) ثمّ نعوحي بك (١٨٩٤) ثمّ رشيد بك (١٨٩٧) ثم خليل باشا (١٩٠٤) ثمّ ناظم باشا (١٩٠٨) ثمّ حازم (١٩١١) ثمّ ادهم بك (١٩١٢) ثمّ بكر سامي بك (١٩١٣) ثم عزمي بك (١٩١٥) واخرهم اسماعيل حقي بك (١٩١٧) خرج من بيروت هارباً مع عمّال الترك لانتصار الدول المتحالفة على المانية ومحالفتها تركية

— ص ٤٦٤ س ١٦ (اوائل تشرين الاوّل) كان ذلك سنة ١٩١٨ بعد هزيمة الاتراك اذ حاول الامير فيصل ان يبسط حكمهُ على بيروت وسوريّة واقام رجالاً من حزبهِ حكموا بضعة اسابيع باسمهِ

١٩٢٦ص٤٩٤ س١٨ (الكلية اليسوعية) راجع المقالة التي خصصناها لهذه الكلية واحوالها ولتاريخ سائر فروعها الطبية والفقهية والهندسية بمناسبة يوبيلها الذهبي في المشرق (٢٣[١٩٢٥]: ٣٢٨ــ٣٥٢)

ــ ص ٤٩٣ س ١٩ (بيروت الادبية) نضيف الى ما كتبناه هناك ذكر المساعي الطيّبة التي اسرعت اليها الدولة الفرنسويّة الكريمة بعد ان فُوّض اليها الانتداب على سوريّة فباشرت بها بعد الحرب الكونيّة لتنشيط الآداب في انحاء البلاد ولاسيما في بيروت لتبقى لها الرئاسة التي حصلت عليها سابقاً من هذا القبيل. ولم تدّخر في ذلك وسعاً بمنحها حرّيّة الطباعة وبإنفاقها الملايين من الفرنكات على المدارس وبتنشيطها العلوم وادابها. وكفى بيروت فخراً انّها جُعلت في هذه السنة ١٩٢٦ مركزاً لمؤتمر اثري تشرّفت لسببه بجاول اساطين العلم من دول اوربّة في ربوعها. فزادت بذلك سمتُها بين الامم الراقية

الاميران الاسيران

مأساة تمثيليّة ارزيّة ادبيّة

عرّبها عن الافرنسيّة بتصرّف الخوري يوسف الحشيمي

توطئة

هذه الرواية التمثيلية عرّبها حضرة الخوري يوسف الحشيمي لتُشخَّص في المدارس والنوادي الادبية فيُسرّ الحضور بأطوارها المهجة وبمشاهدها المؤثرة ويستفيدوا من تعاليمها التهذيبيّة الصالحة. وقد صدّرها حضرتهُ بتقدمتها مع كتاب لطيف لسيادة الخبر الجليل المطران الياس ريشا النائب البطريركي بنسبة ارتقائهِ الى الدرجة الاسقفية. ثمّ اردفها بفصل طويل عن فنّ الروايات وانواعها وشروطها وغايتها وفوائدها لا يسمح لنا ضيق المجال بنشرهِ لتتمّ فصولها مع اعداد السنة الباقية فنستميح عذراً من حضرتهِ (المشرق)

المشاركون

رودلف زعيم اللصوص	اخوان الامير دولانفلد	بياترو خادم بيت الامير سابقاً وخادم زعيم اللصوص حاضراً	
فردريك	ولدا الامير	ستارتو جسّاس	
الفرد		لصوص	حرّاس

الفصل الاول

يظهر المرسح صيفة كئيب مظلم . يُسمع ناقوس الساعة يقرع نصف الليل

المشهد الاول

بياترو . ستارنو . جالسان على مقاعدهما

بياترو : قد انتصف الليل ولم يأتنا رودلف هل حدث له ما أخّرهُ ؟

ستارنو : لا تخف انَّ له في صرامة بأسهِ بُغيةَ نفسهِ

بياترو : ومَنْ يأمن صرف دهرهِ والدهرُ خوّون ؟

ستارنو : لا يتعاظمُ زعيمَنا امرٌ . انه لَيُذلّل العقاب ، ويروّض الصعاب ، وأمّا انت ايها الصديق فأراك مُكتئباً الوجه تُعالج بُرَحاء الهموم . فما الذي طرأ عليك مما تكرهُ ؟

بياترو : خطرٌ قريبٌ يتهدّدنا . انَّ احد اشراف العيال التسعة لم يأتِ ويسكن القصر تجاهَ كهفنا إلّا وفي نفسهِ ما بها وما يكون نحن من امرنا ؟

ستارنو : اَجَلْ . وقد جعل تحت قيادته من الجنود المدرّبة ثلاثة الاف كاملي العدّة . غير اني لا اخفي عليك ما يحول دون الوصول الينا من المضايق والسّيل الجُحاف والصخور الهائلة التي تقف بسبيلهم سدّاً منيعاً . ولا يُخيَّلُ لي أنهم يحملون انفسهم على المهالك بمسالك يركبون فيها اكتاف الشدائد ويقتحمون ظهور المكاره

بياترو : اذاً لنكونَ على بيّنةٍ من امرنا ونغدوَ آمنين في سربنا . ارصدوا عليهم العيون . حصّنوا مواقفكم لئلا يُباغتنا العدو على حين غرّةٍ فتذلّ اعناقنا وتعفّر وجوهنا

ستارنو : كن آمن البال . لقد اخذنا للامر عُدّتهُ وعَتادهُ وهيّأنا له اسبابه

(يطلّ من احد ابواب الكواليس ويحرّض الحراس على السهر والاحتراس صارخاً : الحذر . اليقظة . الاحتراس)

بياترو : أحسنت يا ستارنو صنعاً . وهل سبقتْ اليك معرفةٌ بالقصر المنوّه بهِ ؟

ستارنو : عرفتهُ حقَّ معرفتهِ . ولا يبعدُ ان يكون بعد ترميمهِ وتحسينهِ خطرًا علينا قريباً

بياترو : ومن يُقيم فيه الآن ؟

ستارنو : احد امراء النمسة الذي يستر مخبآت صدرهِ بتكتُّمهِ ويُمسكُ على ما في نفسه بتحجُّبه

بياترو : أنى لك معرفة ذلك ؟

ستارنو : من خادم القصر عينهِ الذي التبس عليه امري

بياترو : أوَلمْ يكاشفك بما علم من نبأ الامير وحقيقة نسبه ؟

ستارنو : قد طالما بالغتُ في استخبارهِ فكان يطوي حديثاً الى حديث

بياترو : من هو هذا الامير الضنين باسراره !

ستارنو : لم يسعدني الحظ بمعاشرة كبار القوم نظيرك . فمثلي نشأ صغيرًا في احد الملاجئ الخيريَّة ثم قضى عليه سوء البخت كبيرًا بمخالطة صغار الناس تفوتهُ معرفةُ سراة القوم واعيانهم

بياترو : [illegible] خدمني السعد بمعاشرة اشرف عيال فيانة . فقد وكل الي [illegible] تدبير قصره وتهذيب شبابه الصغير . غير أن حقارة الخدمة لم تكن تأتلف مع زهو نفسي وغطرسة رأسي . فتركتهُ بعد أن اختلستُ من ماله مبلغاً مهماً أنفقتهُ بطرق الخلاعة واللهو . ولكي استتر عن اعين الحكام وأتخلص من احكام العدالة . اندمجت في عصابة اللصوص تحت إمرة زعيمنا رودلف الذي ولّاني النيابة عنه . ولكن من اين لي سعادة الحياة وصفاء البال تحت رحمة هذا السقف وظلمة هذا الكهف ؟

ستارنو : بل كيف يصفو لنا عيش او نذوق طعم الراحة بضيق هذه السراديب . الوبيلة الهواء . الوبيئة الماء . مع رطوبة جدرانها ونَتَن رجيعها ؟ وماذا يغيدنا حشد الاموال اذا استحكمتْ بنا العلّة وأدركتنا الوفاة ؟ ولكن

أعلّلُ النفس بالآمال أرقبها ما اضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الامل

يأتي يوم أدَعُ به ظلمة هذه المغاور حيث تبصر عيناي نور النهار واستطعم لذة الحرية ورفاهة الحياة واغدو بفضل ما اغتنمهُ من الثروة مثال المروءة والاحسان

بياترو : انت بشأنك . اما انا فقد ضمنتُ لمولاي الزعيم البقاء معه حتى الموت

ستارنو : وهل يقوم في اعتقادكِ ان زعيمنا يصرف سحابة عمره اسير هـذا الكهف ؟

بياترو : لقد حُكم علينا بألّا نغادرهُ ما لم نشأ ان نعاود اعوادَ المشانق

ستارنو : لم اكن انا احسن حالًا او اسعدُ حظًّا منكما فقد أضمر لي الدهرُ من قبلكما ما يضمرهُ لكما . فاسمحا لي ان أشاطركما نصيبكما من هذه الحياة فان ذكرى الاحكام القاضية باعدامي من جانب حكومتي ايطالية والنسة تملأ صدري رعباً فعليه أؤثر ظلمة هذه السراديب على ضياء شمس السماء الصافية . غير ان التفكر بايام الصبوّة وسذاجة العيشة بذلك العهد من العمر حاملًا جراب سُفرتي « زادي » على كتفي ومتوكئاً على عصاي اتنقّل على رؤوس الجبال بمناظر الطبيعة الشائقة يترك في صدري حزّازًا من الغمّ ويلقيني في شعاب الهمّ . وانت يا بياترو ألم يأخذك الندم على مغادرتك ڤيانة وقد كنت في سعة من امرك بقصر آل لانسفالد الكرام ؟

بياترو : ڤيانة ! وما ادراك ما هي ! لقد دهتني من امر مغادرتها ما عيل به صبري . لله ما اجمل ذكرى تلك الملاكين اللذين فوّض اليّ والدهما امر تربيتها . فقد احتزّا لهما موضعاً من نفسي ومكاناً من قلبي

ستارنو : نشدتك الله ان تصدقني القول الم تستطع الوقوف على ما يستبطنهُ زعيمنا رودلف ؟ يلوح لي من ملامحه وعزّة نفسه انهُ لا ينتمي الى غضاضة وانهُ من قوم أباةٍ شُمّ الانوف راسخ النسب سنيّ الحسب . غير انه يتنكر لاشرف عشائر النمسة ويُضمر لهم حقدًا وغلًّا

بياترو : الى الآن لم اهتدِ الى حقيقة امره . فهو كتومٌ لسرّه . وكثيرًا ما كان ينظر اليّ عن عُرضٍ ويُزلقني ببصره لئلا أطارحهُ السؤال بشأنه . . . أسمعُ وقع اقدام . . . هم ارفاقنا . هل اعددتَ لهم مائدة الطعام ؟

ستارنو : على ما ترغبُ ويشتهون

بياترو : اذهب الآن وأقم بواجب الخدمة

المشهد الثاني

رودلف . بياترو . فردريك والفرد اسيران . لصوص

(يدخل اللصوص وهم ينشدون) :

يا رجال الغزو هبوا ما كفى القوم الجحود ؟
واخرقوا صف الاعادي مزقوهم كالاسود
كم ظفرتم كم أسرتم كم وطئتم من بنود
كم قهرتم كم غنمتم وأسراكم شهود
أظهروا براً وبحراً انكم حقاً جنود
واعلموا ان ليس للص ذمام وعهود

رودلف : كم يسرني ايها الزملاء ان ابوح باعجابي بجرأتكم وارتياحي بكم . وانت يا بياترو ما رأيك وما يلوح في ذهنك من امر هذه الغنيمة (ويشير الى فردريك والفريد)

بياترو : انها لغنيمة نفيسة وتدل ظواهرها على عظمة شأنها وخطورة امرها

رودلف : فراسة منك يا بياترو ذات بصيرة هل اعددت لنا ما يطفئ بنا سُعار الجوع

بياترو : اجل مولاي المائدة معدة وكل شيء مجهز

رودلف : الى المائدة ايها الكرام تناولوا من الطعام ما يلذ لكم وخذوا حظكم من الراحة . واما انا فمن قليل انضم اليكم

(يخرج اللصوص من الملعب وهم ينشدون النشيد السابق «يا رجال الغزو»)

المشهد الثالث

رودلف . بياترو . فردريك . الفرد

رودلف : احتفظ يا بياترو بالاسيرين

بياترو : امرك مولاي . اين أجعل اقامتها أفي مغارة الاسرى ؟

رودلف : كلّا . بل دَعها طليقين . خُفّ لحاجتها واعتنِ بامرهما

بياترو : يظهر لي ان لهما شأناً حتى اختصصتهما

رودلف : لقد أسرّا نجواهما عني واخفيا نسبهما عليّ . ولكنهما سيُفشيان اليّ بسرّهما إن لم يكن عاجلاً فآجلاً . (يخرج من اللعب)

المشهد الرابع

بياترو . فردريك . الفرد

بياترو لذاته : واعجباه! لقد خشَعَ للاسيرين بصري وراق لهما قلبي ولا عهد له بالرقة فما يكون شأنهما ؟

الفرد : اخي فردريك اين نحن ؟ مَنْ اتى بنا الى هذه المغاور ؟

بياترو (الى الفرد) : لا تجزعنّ ايها الولد ان زعيمنا الذي أتى بكما الى هذا المكان أمرني ان اتعهّدكما بخير فلا بأس عليكما

فردريك (الى بياترو) : سيدي مَن أنت وما شأن زعيمكم بنا ؟

الفرد لذاته : رباه ما اتعس حظّنا . اين اصبحنا . اين ابي . اين امي ؟

بياترو للاثنين : انتما الان في مغارة اللصوص . وعن قليل يطلق سراحكما فتعودان الى احضان عشيرتكما

فردريك : في مغارة لصوص ! وكيف يُطلق سراحنا ! أيستطيع السجين باعماق الكهوف بزوايا المغاور ان يستنشق نسيم الحرية ؟ يا للبليّة !

بياترو : لا تيأسنّ ايها الولد فانّ لعناية الله بالصغار اسراراً يقصر عنها ادراكنا . فلا تخدعنّكم جهامةُ وجوهنا وشكاسة اخلاقنا فان في داخلنا قلوباً تعطف على الصغار وتصدقهم حبّها

الفرد لذاته : رباه ! هل انا في اليقظة او في الحلم ؟

فردريك لبياترو : اذا كنت يا مولاي رجلَ برّ تعطُفُ علينا فدعنا ننطلق من هذه المضائق لنعود الى امّنا الحزينة ونكفكف دموعها ونُزيل عنها هجوعها

بياترو لذاته : لله ما اشدّ هذا الكلام بقلبي فانّهُ بالحقيقة كلامٌ لصدري

فردريك : ما لكم يا مولاي واصفار انقياء الصحيفة لا ينقدون لكم غلة . فاذا كنتم في حاجة الناوس فوالدنا يؤديها لكم عن يدٍ سخية . فدعونا نذهب اليه فنُملي عليه رِفقكم بنا ومحبتكم لنا

بياترو : كم كنت أودّ أن أمالئكما أيها الولدان على ادراك مبتغاكما . انما الامرُ منوطٌ برئيس عصابتنا رودلف

فردريك : وما يمنعنا عن مقابلته ومخاطبته بشأننا . املنا نُنزل آمالنا منه منزل صدقٍ وتبغي حاجتنا من مَبغاتها

بياترو : وماذا تقولان له ؟

فردريك : نطلب اليه ان يتخذ عندنا صنيعةً ويقرّر المبلغ المطلوب لفدائنا

بياترو : لا بأس من الاتفاق معي . فانا مفوَّضٌ بهذا الامر

فردريك : اذًا مُرْ بما تشاء فلا نعصي لك امرًا

بياترو : تختلف الرسومُ باختلاف احوال الاشخاص هل تنتسبان لاحدى العشائر الكريمة . هل ابوكما من اصحاب الثروة ؟

فردريك : ننتمي لاشرف الأسر النمسية ووالدنا هو امثَلُ قومه

بياترو لذاته : ذلك يفوق ما كنّا نؤمّلهُ

بياترو للاثنين : يسرّني ان أحفظ شيئاً عن حقيقة والدكما

فردريك : ان والدنا هو صاحب القصر المجاور لهذه المغاور وما حواليه من الرياض الزاهرة والاملاك الواسعة

بياترو : لقد مرّ بسمعي الخبر عن هذا القصر . وهل انتما تجلا الامير صاحب القصر ، فورتموله ، ؟

فردريك : نحنُ ذانِ ولم يُدّعَ والدُنا في الاصل امير فورتموله بل الامير لانسفلد وهذا هو اسمه الحقيقي والمعروف في ثيانّة وانما اتخذ اسم فورتموله لغرض

بياترو : الامير لانسفلد لا غيره ؟

فردريك : الامير لانسفلد لا غيرهُ

بياترو لذاته : (وهو يجول في الملعب مفكرًا) لا يبعد ان يكون هو هو

وهذان الاسيران هما ولداهُ فردريك والفرد. وا حرَّ قلباه عليهما!

بياترو للاثنين : (بصوت منقطع وتظهر عليه امارات الكآبة والتأثير) لنا اذن فردريك والفرد نجلا الامير لانسفلد ؟ واحسرتاه عليكما!

فردريك : كأن قد ساءك ما كان من أمر أسرنا حتى تساقطت نفسك غمًّا ولهفاً على صغار مثلنا لم تتلطَّخ يدهم بوزر ولم يفكر قلبهم باثم!

بياترو : كيف لا يا ولديَّ العزيزين

فردريك : لقد عطفتك علينا رقَّةُ والدٍ فحنقتَ وأبكيتنا وكيفَ العمل ؟

بياترو : فلنثق على الله همّنا وهو يهتمُّ بشأننا

بياترو لذاته : ربَّاه لبن مشاهدة نجليْ سيدي الامير اسيرين تمزّق كتائبَ صدري فأستسلم للشجون والعبرات وينكشف اذ ذاك امري. (يخرج من الملعب على عجل)

المشهد الخامس

فردريك . الفرد

الفرد : لقد أخذتني قشعريرةٌ من البرد. ما هذه الحال حالنا ؟

فردريك : حال تعاسة وشقاء. بغارة ينضُّ ماؤها من جهاتها الاربع لا ليُروي ظمأنا بل ليُعجّل ظمأ حياتنا. يا لله ما انكدَ حظنا من الحياة. لقد فتكَ الاشرارُ بخدَمنا الامناء. واقتادونا أسيرَيْن ولا ادري ماذا حلَّ بأمي. وا حرَّ قلباهُ عليكِ يا امي. (يقول هذا متباكياً)

الفرد : اخي زدتني قلقاً. أو لم تسلَم والدتنا وخدَمنا من شرّ ليلة الامس؟

فردريك : كيف. وهل تجهل ما حدث لنا وقد كنتَ بيننا ؟

الفرد : كل ما اعلمهُ ان اللصوص احتاطوا مركبتنا وسط الغابة فهنا اذ ذاك فؤادي جزعاً فانطرحتُ للحال بين ذراعي والدتي ولكنَّ يداً حديدية

اختصتني ولم استفقْ الّا وانا في هذا الكهف. ولم تنفتح عيناي الّا لتنظرا ما يحتاطنا من المناظر الهائلة

فردريك : ويا ليت لم تنفتحا

الفرد : وما عسى ان يحلّ بنا ؟

فردريك : وهل نعلم ما يخفيه علينا دهرنا ؟

الفرد : لله ما اشأم حظّنا

فردريك : انما لنا بقول أُمنا «للصغار ملائكةٌ تعتني بهم» ما يخفّف همّنا

الفرد : (يجول في الملعب متأوهاً باكياً) ربّاه مَن يقيني او يكفيني شرّ آلامي غير امي ومن يمسح دمع عيني سوى امي

لا لا وربّكِ لم اشغل فؤاديَ في شيء على الارض الّا فيكِ يا أُمي
فلو تَرَيني بسجني هائماً وَجِلاً مستظرّاً للردى لاَرتعتِ من غمّي

فردريك : خفّض عليك الآن ولا تستسلمْ الى الشجون. فانّ والدتنا لم تزل حيّة لأنّ احد خدّامنا الامناء انقذها من ايدي اللصوص وتواريا في الغاب مع بعض الحرّاس

الفرد : رباه كُنْ لأُمي حارساً

فردريك : كلُّ امرٍ مباعدٍ او مدانٍ فبرطٌ بحكمة المتعالي

الفرد : اخي ما ظنُّك ؟ ألا يأتي والدنا ليفكّ اسرنا ؟

فردريك : لا يعتريني في ذلك شكٌّ. ولم يسكن القصر قريباً الّا ليقضي على الاشرار الذين يعيثون في الارض فساداً

الفرد : رباه حقق لوالدنا آمالهُ وانصرهُ على اعدائه وانتِ يا بتول لا تهملي عبيدكِ (فردريك والفرد ينشدان) :

هـا نحن احقرُ البنينْ جئنا لديك طالبينْ
كوني لنا خير معينْ في سجننا بين اللئامْ

من عمق اعماق السجونْ ندعوك يا امّا حنونْ
رفقاً بنا لدى الشجون وبدّدي عنا السقامْ

عذراء يا ملجـا البشرْ ورجاؤهم وقت الخطرْ
لا تغمضي عنا النظرْ إيّاك نـدعو للـدوامْ

الفرد : لقد صدقتْ أمنا بقولها ان الصلوة هي سلاح الضعيف. لقد أزالت عن نفسي عناءها فثاب اليها نشاطها

فردريك : لا تخفْ. ان عين الله ترعانا. أو لم ترَ بياترو كيف رقّ لنا قلبهُ وعطف علينا لُبهُ

الفرد : وشدَّ ما كان تأثيري لدُنْ نظرت اليه وعيناهُ تترقرقان بالدموع. ولعمري ما الذي افاقهُ من غلظتهِ فألان لنا اعطافَ رحمته ؟

فردريك : هذا لما يبدو على وجوهنا من سيماء المسكنة والخشوع

الفرد : اجل ولم يقع نظري على مسكين الّا ويخشع له بصري

فردريك : ليس هولاء اللصوص كسما نسمع عنهم قُساةَ القلوب ذوي خشونة وجفاء. لعلَّ تعاسة حالنا تحتنُ قلوبهم وتلينَ زعيمهم رودلف علينا

الفرد : لا لا. ان اسم رودلف يزهق نفسي فلا استرسل اليه ما بقي لي رمقٌ. أسفاهُ لقد أودت بنا الاقدار ولا امل لنا بالحياة بعدُ

فردريك : اخي لقد اتيتَ ما يخالفُ الظنَّ بك. اين احكامنا نحن من احكام عناية الربّ بنا ؟

الفرد : نعم نعم للعناية احكام لا ندركها نحن فلنخضع لها صاغرين وليس امامنا الّا الصلوة فهي الباب الامين واللجأ الحصين . (يركع فردريك والفرد يصلّيان)

ربّاه نتوسل اليك من اعماق شقائنا بان ترحم ضعفنا. وتشفق على مسكنتنا. واما انتِ يا مريم ام يسوع وامنا اليك نصرخ كلنا. . . (ثم ينتهضان وينشدان النشيد السابق) .

ها نحن احقر البنينْ جئنا لديك طالبينْ

المشهد السادس

بياترو . فردريك . الفرد

بياترو : (يدخل وهما يصليان)

. . . لذاته : ما اجمل مشهدهما يصليان . وا لهف قلبي على نفسي لقد طالما صليت وانا صغير ولكن بعد انضمامي لشراذم اللصوص لم تخطر الصلوة ببالي قط

. . . (ثم يلتفت الى الاسيرين ويقول لهما) : اعددتُ لكما مقاماً في المغارة المجاورة

فردريك : اعاننا الله على قضاء حقك من الشكر . فقد أبنتَ باشفاقك علينا عن دماثة اخلاقك وطيب اعراقك . فقل لنا عن الاسم الكريم لنرقمهُ على صفحات الذاكرة للمذاكرة بجميل آثارك وحسن صنيعك

بياترو : لم آتِ امرًا يستحق الذكر . اما اسمي فلا حاجة لكما به فهو مخيف هائل . بياترو اللص

فردريك : اتذكرُ ان احد خدمنا فيما مضى كان يدعى باسم بياترو وكان هذا الامين يخصُّنا بحبته وعنايته كما اختصصتنا انت بولائك

بياترو : أخلدا اليَّ بثقتكما فاني اجهد النفس بسبيل خدمتكما . ولكن قصَّا عليَّ كيف توصل الزملاء لالقاء القبض عليكما ؟

فردريك : هل تجهل ذلك وانت من خاصتهم ؟

بياترو : لم اكن في غزوة الامس

فردريك : ان ابانا كان قد ترك من مدة ثلاثة اشهر البلاط الملكي في انسبروك وأقى وسكن قصرهُ المجاور بجبال الالب . فلم نكن نحن نقوى صبرًا على بعادهِ عنا فاردنا اللحاق به مع امنا . فركبنا مركبة يقوم بحراستها ١٢ فارساً من اشدَّاء قومهم فضللنا الطريق او عن جهل السائق او عن تعمده . وتوغلنا باحدى الغابات الكثيفة والليالة حالكة الادلم . وبينما نحن بالنكوص الى الوراء . واذا زمرةٌ من اللصوص طوقتنا والقت القبض عليَّ وعلى اخي . وما بقي فلا يخفى عليك تحصيله

بياترو : يا للاسف !

فردريك : هل يتعذّر عليك ان تخابر والدنا بشأننا

بياترو : امرٌ لا آمن مغبّتهُ . ولو علمتُ اسرار جماعة اللصوص وتعهُّداتهم لَما كلّفتماني هذا الامر الشاقّ الذي اعالج فيه شدّةً ونَصَباً . يزعم الخارجون عنّا انا مرتبطون برباط المحبة . ولكن هل توجد محبة حقيقية ثابتة راسخة بين اللصوص والمحبة هي فضيلة الهية ؟ نحن هنا بحالة خوفٍ دائم من واشٍ بيننا يشي او راصدٍ يترصدنا وهل سلام لمثلنا لصوصاً ؟ ولو وقع الزعيم على كتابة موقّعة مني بخصوصكما لَحكم علينا جميعنا بالموت قتلاً

فردريك : اذاً كيف العمل ؟

الفرد : ما ادراك ما يكون سرور والدينا لو علما اننا لم نزل حيّين . وان من يعتني بنا هو سميُّ بياترو الامين

بياترو لذاته : لقد نفد صبري ووهى جلَدي . هل احمل نفسي على المكاره والمهالك واكتب لوالدهما ؟

(يرفع صوته ويلتفت اليهما) :

ابذل مساعيَ في الامر

(فردريك والفرد ياخذان يد بياترو ليقبّلاها قائلين له) :

— لقد ملكتنا بفضلك وقيّدتنا بنعمائك

بياترو : حاشاكما سيّدَيّ ان تدنّسا شفاهكما الطاهرتين بقبلة يد اثيمة . ادخلا الان هذا الكهف وسلما الى الله امركما

(فردريك والفرد يخرجان)

المشهد السابع

بياترو لذاته

ليس بدعاً اذا طرقتُ رأسي خجلاً او تمنّيتُ لو ساخت بي الارض حياء . فبئس الايام التي صرفتها بالخلاعة والفجور بعد مغادرة قصر الامير . ها هما ذان ولذام اللذان تكفّلتُ امرَ تربيتهما . لم اقف عند حدّ نكراني الجميل بل اضفتُ اثماً على إثم باختلاسي من صندوقه عشرة الاف فلورين ونيّفاً . لقد كنتُ اظنني سعيداً بالحصول على المبالغ

الذكور . ولكن سامحني ما كنت اتوهمهُ فقد فقدتهُ من حيث لا ادري . ما ست سنوات خلَت وانا بمعالجة نزع الحياة . اضطرابٌ من داخل . خوف من خارج لا راحة لي ولا سلام . لا يقف نظري الّا على اشباح هائلة ومناظر مرعبة . لا يمرُّ بسمعي الّا احاديث السفاهة والمجون . أتنقّل من كهف الى كهف ومن سرداب الى آخر كوحش ضارٍ تستُرًا من العيون . فلا كنتُ ولا كان يومٌ ولدتُ فيهِ . هو الزمن الآن لأستفيق من سكرتي واتوب الى الله . فأول امر ارجّه اليهِ عزيمتي هو انقاذ ولدَي سيدي الامير . يا الهي بارك مقاصدي اعضدني بيمينك القادرة لابلغ ما في نفسي من امر هذين الولدين

المشهد الثامن

بياترو . رودلف

رودلف : ما وراءك من الجديد المهمّ ايها الشجاع ؟

بياترو : لا جديد عندي سوى امر الاسيرَين فلم استطع الوقوف على معرفة عشيرتهما . (متجاهلًا)

رودلف : هما ولدا الامير صاحب القصر فورتموله . ان هذا الفتيَّ المتغطرس سيغدو امامي ناكس الطرْف ذليلًا

بياترو : وما يكون من امرهِ ؟

رودلف : ان هذا الاحمق جاء وسكن القصر المنوّه به مع بعض العمالك من رجالهِ وبنفسهِ ما بها من الفتك بنا . وقد فاتت سخيف العقل هذا معرفةُ ما نحن عليهِ هنا من المتعة والقوة . ولم يدرِ هذا الغرُّ ان رودلف بقوة ساعده ورباطة جأشهِ وبسالة جنده يحطّم الرؤوس ويرغم الانوف . يُخضع الرقاب قبل الركاب (بجدّة وصلف)

بياترو لذاتهِ : لقد عرفهما ولم تكن تخفى عليه خافية

بياترو رودلف : شأنك والاسيرين ؟

رودلف : حافظْ عليهما

بياترو : والفائدة منهما ؟

رودلف : مثلُ زعيم العصابة كمثل الصيّاد الذي يلتقط من الطيور صغارها

ليصطاد بها كبارها . وصاحب القصر قد أدّت به قحتهُ على التطاول علينا والغدر بنا . فنحن على اهبة لتلقي عليه آخر امثولة تذيقهُ وبال تعريطه

بياترو لذاته : رأيٌ قطيرٌ . لو علمَ الزعيمُ من هو الامير صاحب القصر لاقلع عن كبره وخفض جناح عجبه

بياترو لرودلف : هل صممتَ على الامر ؟

رودلف : بعزم راسخ . ولئلّا يداهمنا المدو بكرّة على حين غرّة أرسل يا بياترو ستارنو الى فورتموله ليتصفّح القوم ويتجسّس اخبارهم وليسرع في عودته الينا . ففي الليلة البارحة تمهدتُ بنظري اناساً يتجسّسون حول اماكننا فرابني امرهم . اودّعك الآن فاني اشعر في نفسي فترةً وفي جسمي وهناً (يخرج من اللعب)

المشهد التاسع

بياترو لذاته

اكرم بها فرصةً تمكنني من تبشير الامير بوجود ولديه اسيري عصابتنا . والطريقة المثلى التي تبرّرني من وصمة الخيانة هي أن ابيّن له كيفية إنقاذهما اي بأن يوافيني في الليلة القادمة الى طرف الثنية الشمالية لاسلّمه ولديه . هذا ما يمليه عليّ وجداني ويوحيه اليّ ضميري . (يصفر داعياً ستارنو)

المشهد العاشر

بياترو . ستارنو

ستارنو : مولاي

بياترو : ينبغي ان تذهب الى فورتموله بشاء على امر الزعيم . امض الآن واعدّ لك ما يحتاج اليه سفرك ثم ارجع اليّ لابلغك الاوامر بشأن مهمتك . ولئلا يداخل القوم من امرك ريبةٌ اتخذ لك شعار راهب من رهبان توردينو الذين يتعيّشون بما يتكرّم عليهم المحسنون فيأنس الشعب بك ويُطلعك على دخائله

ستارنو : أمرك وكرامة (يخرج ستارنو)

المشهد الحادي عشر

بياترو

بياترو اذاته : أأحمل نفسي على الخطر واكتب للامير بخصوص ولديه . وكيف العمل لو انكشف امري لدى الزعيم ؟ (يجول في الملعب متفكراً ثم يستأنف القول بحدة)

لا بدَّ من الكتابة للامير كيفما كان الامر

(ثم يجلس قرب طاولة ويشرع في كتابة الرسالة وبعد انجازها يضعها في ظرف ويختمه بطابعه)

المشهد الثاني عشر

بياترو . ستارنو بلبس راهب

بياترو : (يدعو ستارنو . اي يصفر له)

ستارنو : مولاي . طوع يديك

بياترو : اسرع السير الى فورتونه فان خطراً قريباً يتهددنا . اندسَّ بين العامة والخاصة واستبطن كنه القوم وما يُضمرون . ان الزعيم يثق بك .

ستارنو : كن آمن البال فانا حجة بهذا الامر . وقد انتهت اليَّ الرئاسة في تنذُّس الاخبار وترصُّدها . أواهُ لو كنت تعلم عظم المنزلة التي اشغلها في قلوب اهل ذلك الحمى

بياترو : إذن سبقتَ لك بالقوم معرفةٌ ؟

ستارنو : قتلتُهم علماً .

بياترو : هوذا كتاب باسم الامير سلّمهُ اياهُ يداً بيد

ستارنو : يصلهُ هذا الصباح

بياترو : سرٌّ أودعهُ خزائن صدرك

ستارنو : كن هادئ البال . لا ينالهُ متسقطٌ

بياترو : لا تطالبهُ بالجواب

ستارنو : لك في الامر رأيك

بياترو : هل تحسن القراءة او الكتابة

ستارنو : كلّا لم ادرس على معلم ولم ادخل مدرسة

بياترو لذاته : هذا ما كنت ارغبه . فقد تحقّق لي الامل

لستارنو : صحبتك السلامة

ستارنو : الى اللقاء سيدي (يخرج من الملهى)

المشهد الثالث عشر

بياترو لذاته

بياترو لذاته : هل انا في مأمن من شرّه؟ لقد اسرعتُ وتمنّتُ بسرّي لهذا الرجل . ما العمل لو اطّلع احدٌ على الرسالة . غير ان الجميع الان غارقون بسُبات عميق . ومن جهة اخرى انها بالرجل الثقة . . . ولكنهُ اص أوتصدّقُ طريّتهُ او تسلمُ نيّتهُ ؟ فالاحسن ان ارسلها الى مدخل الكهف فيطمئن الي (يخرج من الملعب ويرخي الستار)

(لها بقية)

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الحقبة الثانية من القرن العشرين (١٩٠٨—١٩١٨)

استدراك

فاتنا ان نذكر بين المتوفّين من نصارى الشام في هذه الحقبة الثانية بعض الادباء المعدودين فها نحن نخصّ بهم الاسطر الآتية :

توفي قبل الحرب الكونيَّة في ٢٧ شباط ١٩١٢ في دار مطرانيَّة الروم الارثوذكس في زحلة الاستاذ الدمشقي ﴿ جرجس مرقس ﴾ رحل الى روسيَّة فحلَّ في عاصمتها موسكو ضيفاً كريماً . فعرفت الدولة فضلهُ وانتدبتهُ الى تعليم اللغات الشرقيَّة في جامعتها فلبَّى طلبتها واصاب هناك سمعةً طيِّبة وثبت في منصبهِ ٢٥ سنة ونشر في مجلَّات روسيَّة مقالات عديدة في الامور الكنائسيَّة الشرقيَّة وخدم الكنيسة الاورثذكسيَّة باكسة اخويَّة القبر المقدَّس اليونانيَّة وكان ساعياً في نشر رحلة البطريرك مكاريوس زعيم الحلبيّ الى روسيَّة . وقد اثابتهُ الدولة الروسيَّة بمنحهِ رتبة جنرال مع عدَّة اوسمة شرفيَّة

وفي الشهر التابع لدخول تركيا في الحرب في ٢٧ ك١ سنة ١٩١٤ فقد الوطن احد رجالهِ المعدودين ﴿ تامر بك ملاط ﴾ ولد سنة ١٨٥٦ في بعبدا وتلقَّى العلوم في مدرسة مار عبدا هرهريا الاكليريكيَّة فأتقن علومها الدينيَّة والادبية حتى اللاهوت استعدادًا لقبول الدرجة الكهنوتيَّة وتعلم اللغة السريانية فبرع فيها . ثمَّ عدل عن الكهنوت الى التعليم في مدارس لبنان وبعد مدَّة انتظم في سلك اساتذة مدرسة الحكمة في بيروت وعكف على درس الفقه فانتدبتهُ الحكومة اللبنانيَّة الى خدمتها فخدمها في عدَّة وظائف في محاكم كسروان وزحلة والشوف في عهد متصرفي لبنان واصا باشا ونعُّوم ومظفر الى ان اعتزل الاشغال وأُصيب بمرض طويل انتهى بوفاتهِ . وكان تامر بك كاتباً مجيداً وشاعراً مطبوعاً نشر شقيقهُ شبلي بك ديوانهُ سنة ١٩٢٥ فقدَّمهُ على ديوانه الخاصّ . وفيهِ عدَّة قصائد تشهد لهُ بجودة القريحة . وقد استحسنَّا لهُ قولهُ في الزهد :

واللبيبُ اللبيب من خاف يوماً ... واتقى الله في جميل الفعال
واتحى توبةً اذا زلَّ يرجو ... في زوال الحياةِ حسن المآل

وفي معظم جلبة الحرب العموميَّة ودَّع الحياة احد وجوه نصارى بيروت الطيِّب الذكر ﴿ المركيز ، وسي دي فريج ﴾ توفاهُ الله في ١٧ ايَّار ١٩١٦ . درس في مدرسة اليسوعيين في غزير اللغات ومبادئ العلوم ثمَّ تعاطى التجارة وحصل على ثروة واسعة وكان من انصار الآداب والعلم مع تأصلهِ في روح الدين . عدَّتهُ الجمعية العلميَّة السوريَّة المنشأة في اواسط القرن التاسع كاحد اركانها . لهُ في نشرتها المطبوعة خطب وقصائد ومقالات ادبية

وفي العام التالي في ٨ تشرين الاوّل ١٩١٧ خسر العراق احد كهنته الافاضل المعروفين بنشاطهم في خدمة التاريخ والعلوم الدينية ﴿ القس بطرس نصري الكلداني ﴾ الذي سبقت ترجمتهُ في المشرق (٢١ [١٩٢٣] : ٦٥٧ ـ ٦٦٠) كان مولدهُ في الموصل سنة ١٨٦١ وتخرّج تحت نظارة ارباب طائفته ثم في مدرسة افنشار الايمان في رومية . ولما رجع الى الموصل تخصّص بخير مواطنيه بكلّ الخدم الكهنوتية ولاسيما بالتعليم والتأليف فدرّس العلوم الدينيّة العليا في المدرسة البطريركيّة الاكليريكيّة وصنّف كتباً عديدة في اللاهوت والفلسفة والتاريخ تجد جدولها في آخر ترجمته

وممّن كان حقّهم ان يُذكَروا في هذه الحقبة الثانية من القرن العشرين فذكرناهم سابقاً في عداد ذوي القرن التاسع عشر ﴿ المعلّم سعد العفيسي ﴾ نشر سنة ١٨٧٢ ديواناً مدح فيهِ اعيان ذلك الزمان وذكر حوادثهُ فنقلنا قطعاً عنهُ في الطبعة الاولى من الآداب العربية في القرن التاسع عشر (ص ٥٠ ـ ٥١) وقد عاش زمناً طويلاً حتى بلغ العشر الثاني من القرن العشرين

القسم الثالث

الآداب العربية من السنة ١٩١٨ الى ١٩٢٦

البحث الاول

نظر عامّ في الآداب العربية بعد الحرب الكونية

كان وداعنا للحقبة الثانية من الربع الاوّل من القرن العشرين وداعاً مبلولاً بدموع الحزن والكآبة بعد ان افتتحناها بالسرور والبهجة . كيف لا وقد حلّت تلك الداهية الدهياء اي الحرب الكونية التي كانت اشبه بصاعقة هائلة دوت في جوّ صافٍ لا

يحسب حسابها منتظر . على انَّ الصواعق اذا أرعدت وأرعبت وتفجّرت لا تلبث ان تهدأ زمجرتها ويسكت هزيم رعدها وتنكشف سحب سمائها المتلبدة . وهكذا كان امل الشعوب يتكهَّنون بقصر مدة الحرب مع ما لدى الدول من الاسلحة الحديثة التي من شأنها ان تجلب دمارًا واسعاً باسرع وقت . وما أخيب ما كان ذاك الامل فطالت الحرب ونشرت الهلاك في معظم اصقاع المعمور ولم ينجُ من اضرارها ذات البلاد التي لم تَخُض عبابها فأصيبت برجع صداها المولة

وما عسى ان يكون مع اهوال الحرب سهم الآداب . وهل يُسمع صرير الاقلام عند صلصلة السيوف او يُصغى الى صوت البلغاء مع دويّ المدافع حين يكون «السيف اصدق انباء من الكتب»

فان كانت الحرب اصابت ببلاياها انحاء المعمور فهل كان من امل ان تنجو من تيارها الآداب عموماً والآداب العربية خصوصاً وهي مع سَعَتها لم تبلغ مبلغ الآداب الاوربية التي بكت على ألوف من نوابغ علمائها وأصيبت ايضاً بمصاب أليم

وقد تراكمت ويلات الحرب على البلاد الناطقة بالضاد لاسيما الواقعة تحت حكم الدولة العثمانية من جزيرة العرب الى حدود القفقاز ومن بحر الشام الى العجم . فأُقفلت معظم المطابع وأُوقفت المجلات وأُلغيت الجرائد إلَّا ما ندر منها وكان اصحابها مستعبدين لتركية . وقُتل او نُفي كثيرون من الادباء

على انَّ هذه الحالة الحرجة لم تقتل الآداب العربية تماماً وقد ذكرت مجلة المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٤٨١ــ٤٨٦) مطبوعات قليلة صدرت في ايام الحرب اخصُّها كتاب لبنان الذي عُنينا بنشره مع بعض اهل العلم الاختصاصيين (المشرق ١٨ : ٧٣ــ٧٤) . ونشر في دمشق جناب السيد كرد علي في مجلة المقتبس آثارًا عربية قديمة وكذلك الشيخ عبد القادر بدران نشر جزءين من تاريخ دمشق لابن عساكر

اما مصر فلم تخمد فيها الحركة الفكريَّة في تلك السنين الصعبة فاستفادت الاداب العربية ممَّا نُشر فيها من التآليف الجليلة القديمة كصبح الاعشى للقلقشندي في عدَّة اجزاء والخصائص لابن جنّي وديوان ابن الدُّمَيْنَة والمكافأة لابن الداية والاعتصام للشاطبيّ وكتاب الاصنام لابن الكلبي . ولدار الكتب الخديويَّة في هذه المطبوعات

فضلٌ كبير . ونشر ادباء الاقباط خطباً وميامر بيعيَّة لابن العسال ولابن البركات ابن كبر

ومن التآليف المستحدثة المنشورة في ذلك الوقت تاريخ سينا القديم والحديث لنعوم بك شقير وديوان حليم حلمي المصري وكتاب سياحتي الى الحجاز وتاريخ الآداب العربية لاحد اخوة المدارس المسيحية وكتب أُخرى وقفنا عليها فوصفناها في مقالتنا «الاداب العربية منذ نشوب الحرب العمومية» وذكرنا ايضاً هنالك بعض المطبوعات الشرقية التي تولى نشرها المستشرقون (راجع المشرق ١٨ [١٩٢٠]: ٤٨٧ــ٤٩٤)

وفي خريف السنة ١٩١٨ انقشعت عن ساحات الحرب تلك الظلمات بانتصار الدول المتحالفة فأتى وقت الاصلاح وليس الاصلاح كالخراب فانَّهُ لا يتمُّ إلَّا بزمن طويل ونفقات باهظة ورجال ذوي همة قعساء

على انَّ دولتي فرنسة وانكلترا اللتين فُوِّض اليهما الانتداب على البلاد العربية لم تضنَّا باموالهما وتنشيطهما على الاهلين ليسدُّوا تلك الثلمة الواسعة ويردُّوا للبلاد شرفها السابق . وكان كثيرون من الناشئة قد صدأت اقلامهم وفشلت قواهم لكسود سوق الآداب فنهضوا بهمَّة جديدة لخدمة مواطنيهم فمنهم من تولى التدريس في المدارس العمومية ومنهم من فتح المطابع الجديدة وانشأ المجلَّات والجرائد حتى بلغت بعد حين عدداً لم تبلغهُ في الازمنة السابقة للحرب ويا ليتها كلُّها كانت صادقة الخدمة معتدلة اللهجة متقنة للكتابة

وكان اوَّل من استأنف العمل لخدمة العلوم والآداب اصحاب المطبعة الكاثوليكية التي كان الاتراك مع حالفيهم الالمان ضربوها ضربةً كادت تكون قاضيةً عليها فنُقلت ادواتها الى دمشق ولبنان ونُهبت حروفها ونقوشها وورقها وكتبها بل نُزعت حجارة ارضها فقضي على اصحابها ان يصرفوا اشهرًا طويلة ومبالغ وافرة ليتداركوا ذلك الخلل ويعودوا الى نشر مطبوعاتهم المشهود لها بألسن الوطنيين والاجانب .

فهذه ثماني سنوات منذ منَّ الله بالفرج على عباده وانقذنا من تلك النكبة الهائلة التي حوَّلت الارض الى منقع من الدم . فيحسن بنا ان نسرح النظر في احوال آدابنا

العربية لترى ما افضت اليه امورها من ترقٍّ مرغوب او تقهقر مرهوب لاسيما في الشرق الادنى محور الشعوب الناطقة بالضاد

وما لا يُنكر انَّ هذه البلاد قد حصلت في هذه الحقبة الثالثة على حرّية لم تعهدها سابقاً في زمن الاتراك فانَّ الدولة الافرنسيَّة والانكليزية اطلقتا الحرّية التامة للطباعة ولم تذخرا وسعاً في تنشيط الآداب والعلوم لم تستثنيا من ذلك سوى بعض الكتابات السياسيَّة المتطرّفة دفعاً لاضرارها . ولو لم تحصل عاصمتنا بيروت من فضل فرنسة على غير مكتبتها العمومية وهي اوَّل مكتبة من جنسها لوجب علينا شكرها

فاذا نتج لخدمة الآداب العربية من الفوائد بعد الحصول على هذه الحرية مع كثرة الكتبة المتخرّجين في المدارس ؟ فاين الجمعيات الادبية الراقية ؟ واين الشركات المؤلفة لتنشيط الاداب ولطبع التآليف الممتازة ولمجازاة اصحابها ؟ واين المصنَّفات التي تباري المصنَّفات الاوربية صورةً ومعنًى لترجع اليها في العلوم العصريَّة فتغنينا عن الالتجاء الى اللغات الاجنبية ؟

وكم نرى في المنشورات فصولاً تساوي بالاذهاب ، يتهافت اصحابها بالقائها ونحن مدوّنون لها بالاعجاب في سائر امورنا من مشاريع عمومية وخصوصية واعمال كلها يعود انشؤها الى همتهم . وان قصرنا النظر على لغتنا فاننا لا نرى فيها من ادبي ما كان يؤمَّل من الزاولين لها المجتهدين في تعزيزها

وكان معظم ما يصرفهُ الكتبة من القوى في ذلك يبرز في المجلّات والجرائد . فاما الجرائد فلتسرُّع الكتبة في انشائها قلَّما تصلح لان تُتَّخذ مثالاً وقدوةً للفصيح بليغة راقية اللهم إلاَّ القليل الزهيد منها وذلك في بعض فصولها المحرَّرة بعد نضج الفكر واختمار الذهن

واما المجلّات فكثيراً ما تأخذ موادّها عن المنشورات الاوربية فيُشتمُّ منها رائحة الغرابة ويُستشفّ من وراء كتاباتها لوائح أصلها الاجنبيّ ما خلا البعض منها التي لا تتجاوز عدد الانامل

اما المطبوعات المنفردة فانَّ التسعين في المئة منها روايات يغلب عليها الغرام معرَّبة عن الروايات الاوربية القليلة الجدوى الشائنة للاداب . وقد راقنا منها بعض روايات اخلاقية وصف فيها أصحابها العادات المألوفة بين العامَّة لاسيما في مصر

اما الكتب الادبية فكان للدين منها قسمة الضالع فأبرز المرسلون والرهبان الوطنيون والكهنة العالمون تآليف حسنة منها لاهوتية وفلسفية ومنها روحية وزهدية ومنها تراجم ابرار وصالحين وقد وصفنا في كل اعداد المشرق منذ السنة ١٩٢٠ هذه المطبوعات وبيّنّا فضلها

ومما نُشر ايضاً كتب تهذيبية ومدرسية وانشائية وشعرية لإفادة الاحداث في المدارس الوطنية ومطالعة الجمهور . والخلل في كثير منها ظاهر

ونُشرت ايضاً عدّة كتب تاريخية واجتماعية وسياحات ليس بينها إلّا القليل مما لم يُنقل عن التواريخ الاجنبية كتواريخ الحرب الكونية وتواريخ بعض البلدان وكبار الرجال

وقد ظهرت في مصر بعض الآثار المطمورة في زوايا النسيان كتاريخ النويري «نهاية الارب في فنون الادب» وكتاب «التاج للجاحظ» و«زهرة الآداب للحصري» المطبوع سابقاً على هامش العقد الفريد و«مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري» و«ديوان مهيار الديلمي»

ولم يبعد المستشرقون عن فضلهم السابق في نشر الآثار الشرقية واتقانهم لطبعها وتزيينها بكل المعلومات المفيدة والفهارس الواسعة . فمما صدر منها في مطبعتنا الكاثوليكية نقائض الاخطل وجرير وشرح ديوان المفضّليات للضبّي وديواني عمرو بن كلثوم والحارث بن الحلزة وكتاب المأثور لابي العميثل

وظهرت في جهات اوربّة من آثار اجدادهم كتاب الوزراء والكتّاب الجهشياري وكتاب صورة الارض لابي جعفر محمد بن موسى وديوان ابي ذؤيب . وشرح ديواني علقمة الفحل وعروة ابن الورد للاشنتمري واقسام جديدة من النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة لابن تغري بردي ومن معجم الادباء لياقوت وغير ذلك مما يجعل للاوربيين قصبة السباق في نشر الآثار العربية

ومما امتازت به هذه الحقبة الاخيرة سعي بعض الكتبة الى انتقاد المطبوعات النثرية والشعرية كمحمد عباس العقّاد وكزكي مبارك وزكي ابي شادي وحسن صالح الجداوي والاب انستاس الكرملي وقسطاكي حمصي . . وانّا نودّ ان يكون هذا الانتقاد برواق وهدوء اظهاراً للحق لا تشفّياً من خصم او تحقيراً لاديب

ومن خصائص هذه الحقبة ايضاً اتساع فنّ الكتابة بين الاوانس وربّات الخدور فمنهنّ من يتصدّر للخطابة ويلقين المحاضرات او من ينشئن المجلّات وينشرن فصولاً في الجرائد والبعض منهنّ يتظمن القصائد اللطيفة الرائقة لاسيما في الامور الخاصّة بالنساء وتدبير البيوت.

فهذه الامتيازات جعلت لحقبتنا الحاضرة مقاماً حسناً إلّا اننا وجدنا ايضاً فيها ما يدعونا الى [illegible] من تقهقر لغتنا وانحطاطها فنلفت اليها حكماء قومنا

واوّل آفة على لغتنا الإكثار من الدخيل لاسيما اذا لم يُكسَ صورةً يأنس بها اللسان العربيّ . نعم لا تخلو اللغة العربية من الالفاظ الدخيلة حتى انّ القرآن العربي نطق بها وانّما كان العرب يقرّبونها الى لغتهم ببعض التصرّف في صورتها فيزول شيء من غرابتها وخشونتها

وكذلك التعابير الاجنبيّة زاد استعمالها لشيوع لغات الاجانب بيننا ولوفرة المترجمات عنها

وكما انّ تلك اللغات في العربية الفصحى كذلك اللهجات العامية اخذت تسطو على اللغة البليغة فتميع صورتها السهلة . ومن العجب انّ بعض المثقفين من اخصائنا ينشرون مقالات لترويج اللغات العامية زعموا انّ تلك اللهجات اقرب الى فهم الجمهور وأدعى الى نشر العلوم العصريّة وهو فكرٌ غريب لا يخطر لاحد من العقلاء على بال وقد سبق لنا في ذلك مقال طويل بيّنا فيه العواقب السيّئة التي تحصل بذلك فتطمس جمال لغة اجدادنا وتبسط الفوضى بين الكتّاب وتبثّ بين البلاد العربية روح النفور والاستبداد اذ لم يبق بيننا وبينها رابط يجمعنا لما في كل لهجة من الاختلاف والتباين

واخذ غيرهم يتصرّفون ايضاً بالبحور الشعرية تصرّفاً زائداً نزع عنها رونقها ومسحة جمالها وكادت تشبه النثر كما فعل اصحاب النثر الشعريّ فجاءت كتاباتهم لا تُعدّ نثراً ولا شعراً ليس لها من العربية الا الفاظها وكثرتها دون لبابها وجوهرها

(لها بقية)

زاهية او ضحيّة الأزياء (المودا)

رواية تاريخيّة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

١ على فراش الوجع

اخبر الثقة احد رجال الاكليروس المتجرين قال : دُعيتُ في منتصف ليلةٍ من شتاء سنة ١٩٢٠ وانا خادم رعيّة في بعض احياء بيروت لأعود فتاةً قيل لي انها مصابة بداء عياء لا ترضى بعلاج وتأبى كلّ تعزيةٍ قاطعةً الامل من الحياة

فنهضتُ مسرعاً وصليت الى الله ليرشدني الى تدبير هذه النفس وسلوانها . ثمّ سرتُ الى حيث دعاني الدليل فدخلتُ حيًّا ذا لِيّاتٍ ومعارج حتى بلغت دارًا في وسط حديقةٍ صغيرة بازائها بيت ذو طابقين كانت المريضة في طابقهِ الاعلى

فصعدتُ اليهِ واذا امامي غرفتان متوازيتان كانت الفتاة في غرفة اليمين . فلمّا دخلت بابها الواطئ وجدتُ المكان مظلماً فاسد الهواء وفي زاويةٍ فتاةً تناهز العشرين من عمرها مضجعة على فراشٍ بالٍ ممدود على الواح بسيطة لاصقة بالارض وحولها بعض النساء من معارفها . فتقدّمت اليها قليلًا فوجدتها شاحبة اللون غائرة العينين في حجاجيها يستر جسمها دثارٌ خفيف بالٍ وكان تلوح من ملامحها علامات الضجر والسأم وقد انهكتها الحمّى فهي تئنّ وتشكو حالها وكاد السعال يخنقها فيُرى صدرُها في صعود وهبوط كأنّهُ منفاخ الكير

فلما وقع نظرُها عليَّ بدت في وجهها امارات الاشمئزاز كانها لقيت شخصاً مكروهاً فحوّلت نظرها الى الحائط تتلافى تبصرني

فسألتُ عن احوالها فاجابت احدى النساء انها غريبة واتت المدينة منذ ثلثة اشهر تدور في البلد فاجّرت هذه الغرفة وكثيرًا ما تغيب عنها حتى أُصيبت بدائها منذ خمسة عشر يوماً

فتقرّبت منها وداعبتها باسمها بكل لطف : فلم تُجب إلّا بالتغور والتدمدم فسألتها أهي في حاجة الى شيء او يمكنني ان اخدمها خدمةً ما روحية او جسدية؟ فقالت : لا استُ محتاجة الى شيء فدعني وشأني

— ما لكِ تتفرجين هكذا؟ قد اتيتكِ بصفة صديق. انا كاهن الله لا اريد الّا خيرك. ألكِ احد من اهلكِ لأعلمهُ بامركِ ؟ وهل ابوكِ حيّ ؟

قالت: لا قد مات وانا صغيرة السن

— وامك ان كانت حيّة تُرزق انا اكتب اليها

— لا تذكر لي يا ابنتي تلك الام بل تلك العجوز بل الذئبة المستقبحة فانها هي سبب كل شقائي

قلتُ: او تنسين انها هي علّة وجودك ؟

— بل قل انها علّة تعاستي. جازاها الله على سوء صنيعها معي

سكتُّ ورأيت من هياج المريضة ما خفتُ ان يتفاقم ويزيدها ألماً وعرفت انّ لها قصّة مزعجة تحيك في صدرها وتنخر قلبها فدعوتها الى السكينة والهدوء. ثمّ جثوت على ركبتي لاصلّي لاجلها وبقيتُ حيناً التمس من الله أن يحنّ على هذه الفتاة ويمنحها الشفاء. وعلى الاقلّ راحة الضمير وطمأنينة القلب

فلمّا رأتني جاثياً على الحضيض رقّ قلبها وصرخت: ما لي اراك يا ابت خررت ع[illegible]

قلتُ: اني اصلي لاجلكِ واطلب من الله ان يعيد لكِ توازن[illegible]لبكِ

قالت: قد فقدتها جميعاً ولا امل لي بالحصول عليها. وقد استعذبت عيش الحياة أريد إلّا ان ينقطع حبلها لانجو من بلائها

— بل اني اؤمّل انا بان تحظَي بها كليها ان شاء الله. واراكِ في هذه الغرفة تحتاجين الى ادوية وخدم لا يمكنكِ ان تنالها في هذه العزلة فسأسعى لدى رئيسة الراهبات في المستشفى الكبير كي تقبلكِ لوجه الله في جملة المريضات

— اني اشكركَ يا ابتِ على لطفك لكني افضّل ان ابقى هنا فاودّع عما قليل هذه الحياة التي ما ذقتُ فيها طعم السلام

قلت: ثقي يا ابنتي فلعلّ الله دعاني اليكِ لاكون لكِ رسول هذا السلام المفقود. فسلّمتُ عليها وخرجت متأثراً من حالة تلك الآنسة المسكينة طالباً من الله ان يضمد جراح قلبها ببرهم الايمان والرجاء

٢ في المستشفى

ولما كان صباح النهار اسرعتُ الى المستشفى وواجهت رئيسته الجليلة فأخبرتها

بحالة الفتاة فشفقت عليها واذ كانت اسرَّة المرضى في الحجرة الكبرى كلُّها مشغولة ارادت ان تخصَّها بغرفة صغيرة لتُعنى بامرها

عدتُ الى زاهية في عصر النهار فوجدتها مضطربة كاسفة البال فلم ازل الحَّ عليها بالخروج من منزلها حتى اقنعتها بان تُنقل في عربة الى المستشفى حيث استقبلتها الرئيسة والراهبات بما يعرفنَ الجميع من لطفهنَّ

***

كانت الايام الاولى التي قضتها زاهية في المستشفى مختصة بفحص مرضها وتشخيص دائها. فوجد الطبيب انَّ تلك المسكينة قد بلغت من الهُزال وضعف القوى ونوبات الحمّى ما يُرتاب في شفائها واملّها تبارح الحياة بعد زمن قليل

فكنتُ ازورها من وقتٍ الى آخر لاستخبر عن احوالها وادخل فاراها قلقةً لا يطمئن لها بال فترتاح الى منظري وكنتُ اجتهد بان اوحي اليها بالافكار الدينية لأنزع من قلبها شوكة ندمه ثمَّ انشدتُها الله ان تفتح قلبها لرحمته تعالى فتكشف مكنونات صدرها لاحد الاطباء الروحيين فقلتُ لها: كأني اراك تكتمين في صدرك داء دفيناً لعلَّهُ هو الذي يكلمُ قلبك ويفقدك ما تحتاجين اليه من الهدوء لنيل عافيتك

— أجل يا ابتِ إلّا انَّ قصتي طويلة مخجلة ما كنت لاكشفها لانسان لولا ان لطفك وحنانك عليَّ يدفعاني الى أن أقرَّ بها علانيةً فتكون قصَّتي عبرةً لغيري من الفتيات الجاهلات

قلتُ: او ترضين ان يعلم بها غيري؟

قالت: نعم. فلعلهنَّ اذا رأين عاقبة ضلالي يرتشدن بمثلي فينتج من الشرّ بعض الخير واكفّر عن ذنوبي ويرحمني الله اذا صلّين لاجلي

قلت: حسبكِ اليوم ما حدّثتِ بهِ فاني اخاف عليك ان يزعجك طول الحديث فان شاء الله تتزعزعين عن قلبك هذه الهموم في يوم آخر. ثمَّ ودَّعتها بعد ان اوصيتها ان ترفع نظرها الى الله فتطلب من مراحمهِ ان يغفر لها ما فرط منها فتجلب عليها بتواضعها رحمتهُ تعالى الذي لا يُريد سوى رجوع الخطأة الى جادَّة الخير والتوبة النصوح

(لها تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

P. Téqui, libraire-éditeur, 82, rue Bonaparte, Paris, En vente à la libraire Chéhab, à Beyrouth. I. Pichenot (Mgr) arch. de Chambéry: L'Evangile de l'Eucharistie, *in*-12, *pp.* XLIII-101, 10 *f*s,—II. Garriguet (Abbé L.): Les deux grandes dévotions de l'heure présente: L'Eucharistie et le Sacré-Cœur, *in*-12, 5 *f*s—III. Lépidi (Rmo P. Al.): Explication dogmatique sur le Culte du Cœur eucharistique de Jésus, *Prix*, 2 *f*s, 30. — IV. J. Kœnig (abbé) : Nouveau mois du Sacré-Cœur d'après l'Evangile, *in*-32, *p.* 253, 1 *f*.—V. La Fête et la Messe de J.-C. Roi par un Professeur de séminaire *in*-12., 6 *f*s,—VI. E. Duplessy (Chanoine): Retraite de 1re Communion solennelle. *in*-12, 7 *f*s 50—VII Dr A. Marchand: Les Faits de Lourdes, Nouvelles Guérisons (1922-1925), *in*-12, 12 *f*s—VIII. G. Guibert : Les Petits Chinois, 2e édit. *in*-12, 2 *f*s.

كتب تقوى وروحية

هذه ثمانية كتب ألّفها بعض كبار الاكليروس الفرنساوي تُطلب من مكتبة الامير الفرد شهاب: (الاوّل) كتاب خطب لرئيس اساقفة شامبيري السيّد پيشنو بيّن فيها ما يتضمّنهُ الانجيل من التعاليم الزاهية عن سرّ القربان الاقدس وعن حياة السيّد المسيح السرّية على هياكلنا. وهذه الخطب عددها سبع عشرة. والكتاب (الثاني) للكاهن القانوني غاريفه ضمّنهُ خلاصة كتاب لاهوتي واسع صنّفهُ سابقاً عن سرّ القربان وعبادة قلب يسوع فوضعهُ على صورة بسيطة لافادة المؤمنين. والكتاب (الثالث) شرح اعتقادي لاهوتي عن عبادة قلب يسوع في سرّ محبّتهِ العظيم صنّفهُ احد المقدّمين في البلاط البابوي من الرهبان الدومنيكيين الاب لاپيدي. وهذه الطبعة ترجمة افرنسية للكتاب الاصلي عُني بها حضرة الاب هوغون (Ed. Hugon O. P.). والكتاب (الرابع) رياضات تقوية جديدة لشهر قلب يسوع في حزيران ألّفها الكاهن كرنيغ الشهير. و(الخامس) يبحث عن العيد المقام حديثاً لذكر السيد المسيح الملك

مع ما تعيّن له من الفرائض في الكنيسة وتفسيرها . والكتاب (السادس) للكاهن القانوني دوبلاسي يحتوي على ارشادات لإعداد الصغار للمناولة الاولى . و(السابع) كتاب مهم وضعهُ رئيس اللجنة الطبية في لورد وصف فيه ٢٤ شفاء عجيباً بشفاعة سيّدة لورد تحقّقها الاطبّاء واثبتوا انَّ الادوية كأنها كانت عجزت عن ابرائهم . وهناك صور المرضى المذكورين . والكتاب (الثامن) الاخير هو قسم جديد لتأليف سابق وضعهُ حضرة الاب جيبرت اليسوعي فوصف اخلاق صغار الصينيين المتحضرين حديثاً وعجائب الله في تقديس حياتهم

ل . ش

Islamica : Vol. I, 4 et II, 1. Loipzig, Asia Major.

الاسلاميات

هذه مجلة جديدة باشر المستشرقون بنشرها منذ سنتين في اللغتين الالمانية والانكليزية تحت هذا العنوان اللاتيني . فما يحسن بنا ذكرهُ لفائدة قرائنا في ما بلغنا من اعدادها مقالةٌ واسعة للدكتور براونلخ (E. Bräunlich) بحث فيها عن الآبار والعيون في جزيرة العرب قبل الاسلام فراجع لذلك كل ما ورد في الآثار العربية القديمة . وقد خُصّ العدد الثاني من هذه المجلة لتذكار الاستاذ فيشر لبلوغهِ السنة الستين من عمره وبيان خدمه المشكورة في جانب اللغة العربية . ومما يتضمنهُ هذا العدد درسٌ خصوصي لامثال العرب الواردة على السنة الحيوانات ويُختم العدد ببحث للاستاذ بوهل (Fr. Buhl) حاول فيه فكّ هذا المشكل "هل اعتبر محمد نبيّ الاسلام دعوتهُ عمومية للعالم ام خاصة بالعرب" . فيورد لذلك نصوصاً منها ايجابية كما اثبتها ابن هشام في سيرة النبي ومنها سلبيّة . والمؤلف يميل الى هذا الرأي الاخير الذي اخذ حاضرًا يشيع بين المستشرقين العصريين

الاب ه . لامنس

Michel Psellos: Chronographie ou Histoire d'un siècle de Byzance (976-1077). T. I, texte établi et traduit par Emile Renault. *Paris, Collection Byzantine n° 1, Edition les Belles-Lettres, 1926, Prix 20 f°*

مئة سنة من تاريخ بوزنطية (٩٧٦-١٠٧٧)

هذا مجلد اوّل من مجموع جديد باشرت بنشره جمعية الآداب الجميلة في باريس

والمجموع سيبلغ ثمانياً وعشرين مجلداً كلها عن بوزنطية والبوزنطيين . وهذا الكتاب لاوّل يتناول تاريخ بوزنطية من السنة ٩٧٦ الى السنة ١٠٧٧ ألفهُ احد مشاهير المؤرخين المدعو ميشال بسألوس كان طُبع لاوّل مرة سنة ١٨٧٤ بهمة الاديب اليوناني ساثاس (Sathas) فصار لهُ احسن موقع في النفوس فنفد وقد عاد اليوم الى تجديد طبعهِ المسيو رينو فزاد على طبعتهِ الاولى محسّنات جمّة من مقدّمات وحواشٍ مختلفة ونقلهُ الى الفرنسوية بلغةٍ رائقة منسجمة غاية في الطلاوة والحسن ج . ل

Conrad Chapman: MICHEL PALÉOLOGUE Restaurateur de l'Empire Byzantin (1261-1282). *Paris, Eugène Figuière, pp.* 204, *Prix*, 25 *f*

ميشال باليولوغ محيي الدولة البوزنطية

يعلم القرّاء كيف عدلَ الصليبيّون في حملتهم الرابعة عن طريق الاراضي المقدّسة الى مناهضة الروم الذين كانوا ناصبوهم وعرقلوا مساعيهم واشتركوا مع المسلمين لمحاربتهم . ففتح الصليبيون القسطنطينية فصارت في حوزة اللاتين مدّة نحو مئة سنة الى ان قام احد ابطال الروم المسمّى ميشال باليولوغ من أسرة ملوكهم القديمة فترقّى بمشاطاه في الجندية الى ان استبدّ بالامر وادّعى لنفسهِ حقوق الملك على القسطنطينية بعد قتلهِ الملك الشرعي جان لاسكاريس ثم توجه كل قواهُ لينتذ القسطنطينية من ايدي اللاتين فتمكن من الامر بدهائهِ وحيلهِ ولانقسام اللاتين بعضهم على بعض . فأحيا مملكة الروم البائدة واتخذ كل الوسائل لتحصينها وردّ غارات اعدائها فنجح . وكان يمالئ الاحبار الرومانيين بالامس في اتحاد الكنيستين فلم يحصل على نتيجة . فكل هذه الاخبار قد بسطها صاحب هذا الكتاب وهو اوّل تأليف لاحد الاميركيين المستر شايان انشأهُ بالفرنسوية كرسالة ولد كتاب واسع في سيرة الملك ميشال باليولوغ فأجاد الكاتب صورةً ومعنى ل . ش

Mittelholzer (W.): PERSIENFLUG. 1 vol. 212 pp., 96 illustr., 2 Cartes, Zurich, 1925, Orell Füssli

رحلة جوية الى العجم

في تشرين الثاني من السنة ١٩٢٤ عهدَ محلُّ جونكرو الى احد السويسريين ان يطير من عاصمة زوريخ الى العجم فقام بذلك مؤلف هذا الكتاب وقطع تلك المسافة

بمشر مراحل مارًّا بايطالية ثم باليونان ثمّ بازمير حيث اوقفهُ الاتراك مدّة اسبوع . ثم مرّ بالاستانة واجتاز منها الى حلب ثمّ بغداد ثمّ كرمنشاه وطهران وإنزلي عند خليج العجم ثمّ عاد الى بلادهِ بالبرّ . فاحبّ عند رجوعه ان يفصّل اخبار تلك الرحلة وما شاهدهُ من معالي الفضاء فجاء كتاباً جامعاً بين اللذّة والمتعة . وهو مزيّن بعدّة تصاوير للبلاد التي قطعها ومنها ما لم يعرفهُ الجغرافيّون تماماً الى يومنا ج . ل

H. Lammens S. J : L'Islam Croyances et Institutions, *in*-12 1 *vol. in*-12, *pp.* 288, *Beyrouth, Imp. Cath.*, 1926, *Prix*, 10 *p. or.*

الاسلام : عقائدهُ ومشروعاتهُ

وضع حضرة الاب هنري لامنس هذا الكتاب اجابةً لملتمس كثيرين من الوطنيين والغرباء الذين يسمعون في حقّ الاسلام اقوالاً متناقضة هذا يمدح وهذا يقدح . فما كان اقدر منه على هذا العمل وهو منذ اربعين سنة يدرس الاسلام درساً عميقاً في اقدم آثارهِ واصفى مواردهِ فتجشّم لذلك اسفارًا عديدة الى الاستانة والى مصر فضلاً عن تنقيبهِ في خزائن اوربة الشرقية في اخصّ عواصمها كباريس وبرلين ولندن وفينا وليدن ونشر عشرات التآليف عن الشرق الاسلامي . وهذا الكتاب هو خلاصة دروسه ضمّنهُ اصحّ ما ورد في الاسلام في ثمانية فصول هذا عنوانها : ١ً مهد الاسلام . ٢ً محمّد رسول الاسلام . ٣ً القرآن كتاب الاسلام . ٤ً السنّة او تقليد الاسلام . ٥ً الشرع في الاسلام . ٦ً الزهد والتصوّف في الاسلام . ٧ً البدع في الاسلام . ٨ً المصلحون المحدثون في الاسلام . والمؤلف يعرض معلوماتهِ دون ان يبدي فيها حكماً قاطعاً ويتحاشى فيها كل جدال ومناقشة ليلوح الحقّ في كل مجاليهِ ل . ش

Colonel Clément-Grandcourt: La tactique au Levant. 1 *vol.* 8°, 1926, *Paris, Ch. Lavauzelle et C^ie*

الآداب الحربية في الشرق

الكولونل غرانكور كان من جملة الضباط الذين حضروا الوقائع التي جرت في قيليقيا وسورية بعد الحرب الكونية فوقع بعضها في الجبال وبعضها في السهول كما في إنيجه ومنها ما كان مع عدوّ منظّم كما في خان ميسلون وبعضها مع عصابات غير منظمة .

فكان الكولونيل يعتبر كل واقعة منها ويعرضها على قواعد الفنّ ليزيد بها اختباراً ثمّ يفيد غيره بملحوظاته التي دوّنها في هذا الكتاب المشبع. وزيّنهُ بخارطة وبعض التصاوير غير المتقنة

Ewald Banse: ABENDLAND UND MORGENLAND. Landschaft-Rasse-Kultur. zweiter Welten. *Album de 277 reproductions* 14 × 21, 1926, *G. Westermann, Braunschweig, Hambourg*

معرض صور غربية وشرقية

جمع مؤلف هذا الكتاب ٢٧٧ صورة شمسية تمثل اخصّ المناظر التي تُرى في الغرب والشرق وغايتهُ ان يقابل العلماء بين خواصّ تلك البلاد المختلفة وقد اضاف اليها شروحاً ليستفيدوا منها في علومهم الفنية ج. ل

Ed. Trogan: REGARDS SUR LA VIE (1919-1925). De Versailles à Locarno, *Paris, Bloud et Gay*, 1926, 1 *vol. in*-16. 1926

نظر عام على احوال الحياة

انّ التقلبات السياسية التي حدثت بعد الحرب الكونية من معاهدة ڤرسايل الى مؤتمر لوكرنو من شأنها ان تدون في كتاب خاص. وهذا ما نراهُ احد كبار السياسيين المسيو تروعان الذي في هذه الثاني السنين كان يتبع الحركة السياسية الاوربية ويبيّن مظاهرها واسرارها في مجلّة كورسبندان ومجلّات اخرى في فرنسة وبلجيكة. فجمع كتاباته كلّها واعاد فيها النظر وبيّن ما كان من العلاقات بين كل هذه الحوادث كما سبق هو وروى سلفاً ما ستفضي اليه كما تُرى اليوم. فجاء هذا الكتاب كفلسفة احوال الامم الاوربية بعد الحرب يستدعي نظر ارباب الدول وسائر العقلاء ل. ش

Paul Bureau: LE BON CITOYEN DE LA CITÉ MODERNE, 6e nº des Cahiers de la Nouvelle Journée. 1 *vol.*, 8°, *Paris, Bloud et Gay*, 1926 *Prix*, 12 *f*

الوطني الصادق في المدينة الحاضرة

المسيو بولس بورو كاتب عصري نشر مجلّدات عديدة في المسائل الكونية الحاضرة. فانتدبتهُ لجنة تُعرف بلجنة الجريدة الجديدة لينشر بين مطبوعاتها مقالات

خاصة في احوال كل وطنيّ صادق يُريد ان يخدم وطنهُ في دائرة اشغالهِ . فتولى ذلك بكل دراية ومعرفة وبيّن الصفات التي يجب على كلّ وطني مخلص ذي دين وذمة ان يتحلّى بها في حياتهِ الاهلية والاجتماعية ليضحي عاملاً صالحاً ونافعاً لوطنهِ . فكان لتأليفهِ هذا احسن استقبال في فرنسة وفي البلاد الاجنبية ل.ش

Annuaire de l'enseignement libre français : FRANCE-COLONIE-ETRANGER. *Paris, rue de l'Université*, 1926, *Prix* 12 *f*[s]

قائمة سنوية لتعليم اللغة الفرنسوية الحرّة

للفرنسويين حرصٌ كبير على نشر لغتهم . وهذه القائمة تفيد العموم عن المعاهد العلمية الحرّة المنشأة لتلك الغاية كالمدارس التي يديرها المرسلون والجمعيات الخصوصية او بعض الافراد . على اننا لحظنا نقصاً كبيراً في ما يختصّ ببلاد الشرق فانّ بيروت لا ذكر لها مع كثرة مدارسها الفرنسوية الحرّة . وعلى خلاف ذلك جاء ذكر مدرسة اليسوعيين في الاسكندرية وقد أُلغيت منذ ثلاث سنين . فلا بُدَّ اذن من اصطلاح الخلل

André et Lucie Choay. UN VOYAGE MÉDICAL EN PALESTINE CHEZ LES DRUSES. Notes médicales sur un voyage en Egypte. *Extr. de la Revue médicale*, 1925, 31 *pp. illustr.*

رحلة طبية الى فلسطين وفي بلاد الدروز

هذه الرحلة باشرها اخٌ مع اختهِ قُبَيل ثورة الدروز في حوران اذ كانت البلاد في هدوّها بفضل الجنرال ڤيغان . وقد زارا ايضاً فلسطين ومصر فخصّا نظرهما بدرس احوال تلك البلاد الطبية وقد فحصا في مصر الملجأ الدولي الذي انشأهُ الايطاليون لتوزيع الحسنات على المحتاجين . وذكرا في فلسطين مشروعين خيريّين آخرين انشأ احدهما الانتدابُ الانكليزي وهو عموميّ . والآخر خصوصي في يد جمعية اميركية ج.ل

Et. Burnet: I. LA FIÈVRE MÉDITERRANÉENNE, Extr. de la Revue d'hygiène, t. 47 n° 12.—II. APERÇU DES ACQUISITIONS RÉCENTES SUR LA FIÈVRE MÉDITERRANÉENNE. Extr. du Bulletin de l'Institut Pasteur, t. XXIII, Mai 1925. *Paris, Masson et C*[ie]

حُمّى بلاد البحر المتوسّط

بحثان مدققان نشرهما احد الاطباء اللاحقين بمكتب باستور في تونس المير

بورنت فبيّن كل ما ينوط بالحمى الثائمة في بلاد البحر المتوسط والمعروفة بحمّى مالطة من حيث تشخيصها واصل انتشارها بحليب المعزى ومفاعيلها وطريقة علاجها. كما انهُ ذكر قائمة البلاد التي شاعت فيها. وقد تعجّبنا لضربهِ الصفح عن مصر وعن سورية سواء كان لعدم وجود هذه الحمّى فيهما او بالحري لعدم وجود قائمة مضبوطة للمصابين بها

ج. ل

المثالث والمثاني

مجموعة شعريّة مصوّرة لحليم افندي دموس

طُبع في مطبعة العرفان في صيدا سنة ١٩٢٦ (ص ٢٠٨)

حبّذا المعرض لولا . . . وانما يشفع بجامعهِ حسنُ نيّتهِ ولطف طباعهِ . . وقد راقتنا بالاجمال رنّات «المثالث والمثاني» بما تضمّنتهُ من المقاطيع الرائعة والقصائد العامرة الابيات مع مجموعة بديعة من خطوط ادباء الوطن وتصاويرهم. فالكتاب حريّ ان تزدان بهِ نوادي الخاصّة وبيوت العامّة فيطربون باصواتهِ الرخيمة ويتندّرون بامثالهِ الكريمة ويثنون على جامعهِ اجمل الثناء

ل. ش

اسباب الهجرة السورية في القرن التاسع عشر

تأليف انيس زكريا النصولي

طُبع في مطبعة وزنكوغراف طبّارة بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ١٤٢)

انيس افندي خرّيج الجامعة الاميركية في بيروت فهو في هذا الكتاب يتّسع في اعمال الرسالة الاميركية ولسنا لنلومهُ على معرفتهِ للجميل نحو اساتذتهِ وانما نراهُ بترجيحهِ الميزان قد تجاوز خطة العدل. فانهُ مثلاً اطال الكلام على الجامعة الاميركية وعلومها واساتذتها وفضّلها على سواها واستشهد (ص ٤٢) بالدكتور لورته القائل عن نظامها «هو امر تحسدهُ عليها المدارس الفرنسويّة» وهذا القول لو كان يصحّ في زمانهِ سنة ١٨٨٤ فهيهات ان يصدق اليوم — ومن اغلاط الكاتب قولهُ (ص ٤٤) انّ «الكلية اليسوعية كانت تعلّم باللغة العربية اولاً» فانها لم تقتدِ في ذلك بالجامعة الاميركية ولم يزل تعليمها من اوّل تأسيسها باللغة الفرنسوية — ليس في قول الاب لامنس (ص ٤٥) في اعتمادهِ على المسيو برنو مبالغة فانّ المدارس التي كانت تحت ادارة رسالتنا

وحدها كان يبلغ عدد طلبتها نحو ١٥٫٠٠٠ فزد عليها مدارس كاثوليكية عديدة للمرسلين والوطنيين كانت كلها تعلّم اللغة الفرنسوية — ليس كل ما قالهُ (ص ٧٣) عن المطبعة الاميركية صحيحاً . ولا نعلم انها (ص ٧١) « أصدرت (كما زعم) اشعاراً ومخطوطات دينية جلبتها من الكنائس والاديار » فانَّ معظم مطبوعاتها اما مدرسية . واما دينية مترجمة عن الانكليزية — ما قالهُ عن المطبعة الكاثوليكية مخلٌّ جدًّا فانها وحدها خدمت اللغة العربية اكثر من سواها وقد اقرَّ المستشرق بروكلمان انَّ لها السبق على سائر مطابع الشرق — ما قلناهُ (ص ٩٥) عن تطرُّف المقتطف في بعض مزاعمهِ اللاهوتية والفلسفية والدينية لم نقلهُ جزافاً وقد اثبتناهُ مراراً بالبرهان في مجلة المشرق — قولهُ (ص ١١٩) عن مكتبتنا الشرقية قد فقدناهُ سابقاً في المشرق (عدد تموز ص ٥١٩) . وغير ذلك من المزاعم الباطلة الدالَّة على عدم تدقيق النصولي ولكن لهُ في إقرارهِ عن التعليم في الازهر والمدارس الاسلامية ما يستوقف نظر ذوي الاعتبار

عنتر رواية تمثيلية ذات خمسة فصول

تأليف شكري غانم وتعريب الياس ابي شبكه

طُبع في مطبعة فوزما في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٦٦)

صار لتمثيل رواية عنتر بالشعر الافرنسي في باريس رنَّة استحسان تردَّدت اصداؤها في انحاء اوربة . وذلك لأن القوم حضروا لاوَّل مرَّة تمثيل رواية تحيي في اعينهم اخلاق اهل البادية وحياتهم الفطرية وعاداتهم الاجتماعية . فاحبَّ الاديب الياس افندي ابي شبكة ان ينقلها الى العربية فعساها ان لا تكون باعثةً للغرام المفرط في قلوب الشبيبة فتزيدها ضراماً ونحن في اشدّ حاجة الى ما هو اخطر شأناً وارقى مكاناً في خدمة الوطن ونهضة الادب ل . ش

رواية الكونت والمركيز والدوك المحتالين والصبيان الشحادين

رواية هزلية بقلم الخوراسقفوس يوسف رباني

بمطبعة القديس بولس في حريصا لبنان سنة ١٩٢٦ (ص ٣٢)

هذه الرواية الهزلية انما يُسَرُّ بهِ العموم لفصولها المضحكة وانما ادبيَّتها قليلة لان الظافر هو المحتال وهذا ما لا يليق تحبيبهُ في اعين الجمهور . فياحبَّذا لو زيد على الرواية فصلٌ آخر يلقى فيه المحتالون جزاء حيلهم فيصحّ المثل «وعلى الجاني تدور الدوائر»

تاريخ الحرية البشرية

المدكتور سليمان غزاله نائب البصرة في المجلس النيابي

طُبع في بغداد سنة ١٩٢٦ (ص ٩٠)

كان صديقنا الفيلسوف الدكتور غزاله في كتاب سابق مرَّ وصفهُ (في المشرق ٢٣ [١٩٢٥]: ٦٣٥) بحث في الحرية فلسفيًّا ونظرًا الى الحياة الاجتماعيَّة وفي هذا الكتاب الجديد وهو السادس من سلسلة «الوضيعة في الحكمة الخلقية» يبحث في تاريخ الحرية البشرية بين الامم السالفة وقدماء الفلاسفة من وثنيين ومسيحيين الى عهدنا الاخير فيتتبَّع آراءهم في تعريف الحرية ومصدرها وجوهرها وعلاقتها مع علم الله وقضائهِ وقدَرهِ وهو بحرٌ يكاد يغوص فيهِ العقل البشري لتباين الآراء واختلاف المذاهب ولعلَّ كثرتها عاقت جناب المؤلف عن التدقيق في تعريفها . وبعض هذه الاراء يحتاج الى مقالات واسعة لبيان حقيقتهِ كآراء القديس اوغسطينوس والقديس توما والاب مولينا اليسوعي . ومن ثمَّ نخاف ان يكون الكتاب عثرةً في سبيل كثير من القرَّاء وهم لا يعلمون ان يفرقوا بين الصحيح والباطل

[illegible]

تفسير سورة الفاتحة

بقلم الشيخ طنطاوي جوهري

طبع في مصر (ص ٩٦)

انَّنا لفي حيرةٍ عظيمة في تعريف هذا الكتاب الذي مدارهُ على فاتحة القرآن وهي كما هو معروف لا تزيد عن ٢٥ كلمة فيستخرج المفسِّر من هذه الالفاظ القليلة عجائب وغرائب فيزعم انها تحتوي كلَّ العلوم من معدن ونبات وحيوان وفلك وطبّ وكهرباء وجرّ اثقال وبنكامات وغازات وسائر العلوم الرياضيَّة والطبيعية الخ وادَّعى انهُ لم يوحَ بشيء مثلها في التوراة والانجيل . فندع الحكم للعقلاء في صحة هذهِ المدَّعيات . طالبين من الله ان يردّد كاتبها آيتها : اهدنا الصراط المستقيم

رواية يوليوس قيصر

تأليف الشاعر شيكسبير وتعريب المرحوم لويس عنَّام ثابت

طُبع في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٥ (ص ٧٠)

وليام شيكسبير رئيس الشعراء الروائيين بين قومهِ الانكليز يعترفون كلهم لهُ

بالسبق والتفنن على كلّ معاصريهِ ومواطنيهِ . وهذه رواية يوليوس قيصر من ابدع ما صدر من قلمهِ قد بناها على اساس تاريخي مكين وصوّر بمثليها صورةً صادقة كما وصفها مؤرخو ذاك العصر الروماني . وفي الرواية ما فيها من الاحكام الديموقراطية والانفة من الاستعباد وتحرير الوطن من ايدي الظلمة . وقد لا تخلو من روح الثورة ومناصبة السلطة المالكة وفي ذلك ما يبعث في القلوب الميل الى التمرّد والعصيان على الرؤساء وضابطي ازمّة التدبير فيجب اذن الاحتراس في تمثيلها . اما تعريبها فهو كما ظهر لنا جامع بين الامانة ومراعاة الفصاحة العربية . وقد بقي في طبعها بعض الاغلاط

الادب الجديد و كلمات فى الشعر والشاعر

من تأليف وجمع حسن صالح الجدّاوي

طُبع في المطبعة السلفية بمصر (ص ١٠٧)

هذه فصول ادبية وانتقادات شعريّة لحسن افندي صالح الجدّاوي ولصديقهِ احمد زكي ابي شادي وفي الكتاب اراء حسنة في الشعر وانواعهِ واغراضهِ وصفاتهِ وفي الشعراء المعاصرين ومنظوماتهم . وانتقاداتهم على رصفائهم وفيهِ دفاعٌ للجدّاوي عن ابي شادي وعن مصنّفاتهِ الشعرية ردًّا على انتقادات شاعر مصر الكبير شوقي بك . ونحن نودّ ان تخلو هذه الانتقادات عن كل غرض شخصيّ فتُعرَض باللطف لمجرّد خدمة الادب دون شيء يمس حتى المنتقَد عليهِ

ل . ش

شذرات

﴿عجائب الصناعة﴾ مما اخبرهُ المقّري في كتابهِ الغصن الرطيب (٢ : ١٦٦٢) : انّ بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل بن العادل ابن ايوب رقعةً في ورقة بيضاء إن قُرئت في ضوء السراج كانت فضّيّةً وان قُرئت في الشمس كانت ذهبيّة وان قرئت في الظلّ كانت حبرًا اسود . وهذا يذكّرنا بعجائب مخترعات الالمان في وقت

الحرب للكتابات السرّية التي لم يطّلع عليها الفرنسويون إلا بالجهد الجهيد فأوقفتهم على الجاسوسية الالمانية

﴿الصّاص وتركيبه﴾ لم نجد ذكرًا للصاص في ما لدينا من المعاجم العربية وقد ورد ذكر الكلمة في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (٢ : ١٢٧) ويظهر من وصفه تركيبها انها ما يدعوه العامة في ايامنا بالصّلصة من الايطالية (sauce, salso) . فدونك ما كتبهُ ابن ابي اصيبعة في ترجمة الطبيب النصراني رشيد الدين ابي حليقة قال يذكر بعض حكاياته مع الملك الكامل ابن الملك العادل الايوبي صاحب مصر:

« ومن حكاياته انهُ طلب منهُ يومًا ان يركّب لهُ «صلصًا» يأكل به اليخني في الاسفار. واقترح عليهِ ان يكون مقوّيًا للمعدة منبّهًا للشهوة ومع ذلك ملّين للطبع فركّب لهُ صلصًا هذه صفتهُ يؤخذ من القدونس جزء ومن الريحان الترنجاني وقلوب الاترج الغضّة المخلّاة بالماء والملح اياماً ثمّ بالماء المالح اخيرًا من كلّ واحد نصف جزء يُدقّ في جُرن الفقاعي كلّ منهم بمفرده حتى يصير مثل المرهم. ثم يُخلط الجميع في الجرن المذكور ويُعصر عليهِ الليمون الاخضر المتقن ويُذرّ عليهِ من الملح الاندراني مقدار ما يطيّبهُ ثمّ يُرفع في سلّلات صغار تسع كل واحدة منها مقدار ما يقدّم على المائدة لانها اذا تمت تكرّجت . وتختم تلك الاواني بالزيت الطيب وترفع. فلمّا استعملهُ السلطان حصلت لهُ منهُ المقاصد المطلوبة واثنى عليهِ ثناءً كثيرًا وكان مسافرًا الى بلاد الروم فقال للحكيم المذكور. هذا الصاص يدوم مدّةً طويلة ؟ فقال لهُ : لا. فقال : ما يقيم شهرًا ؟ فقال : نعم. فقال : تعمل لي منهُ راتبًا في كلّ شهر ما يكفيني في مدّة ذلك الشهر وتسيّره لي في رأس كل هلال . فلم يزل الحكيم المذكور يجدّد ذلك الصاص في كل شهر ويسيّره لهُ الى دربندات الروم وهو يلازم استعمالهُ في الطريق واثنى عليهِ ثناءً كثيرًا

﴿ميلاد المسيح ومجلّة الشرق والغرب﴾ وردت مجلّة الشرق والغرب في عددها الاخير (سبتمبر ص٢٤٨) « انّ فلكيًا يدعى ارثر شتنسل بحث بحثًا فلكيًا في حياة المسيح فاثبت بحقائق فلكية انّ صلب المسيح تمّ في ٣ نيسان السنة الثالثة والثلاثين من ابتداء التاريخ المسيحي اما ميلاده فحدث في ١٧ ايلول في السنة الثانية عشرة قبل ابتداء التاريخ المسيحي وكان مذنّب هالي على مقربة من الشمس ليلة الميلاد فظهر جليًا وكان دليل المجوس »

(المشرق) لا بأس بما تحقّقهُ الفلكي ارثر شتنسل عن تاريخ صلب السيّد المسيح .. اما قولهُ عن تاريخ ميلاده فلا سند لهُ وهيهات ان يُعتبرَ مذنّب هالي كنجم المجوس ودليلهم . فيا ترى كيف لم يبزهُ غير المجوس ومذنّب هالي يظهر لكل العيان . وكيف

يحقُّ فيهِ الوصف الذي ورد في الانجيل عن ظهوره لهم في المشرق وانهُ عاد فظهر لهم عند خروجهم من اورشليم وانهُ وقف على المنزل حيث ولد المسيح فكل هذا لا يصحُّ مطلقاً عن نجم المجوس وقد اخذنا العجب من عجلة الشرق والغرب التي رووا الخبر على علّاتهِ وصدّقت عليهِ جزافاً

﴿اقدم المطبوعات العربية﴾ نشر الاديب رفائيل بطي في لغة العرب (ايلول ١٩٧ــ١٥٢) فصلاً في تاريخ الطباعة العربية العراقية قدَّم عليهِ بحثاً في الطباعة في الشرق (ص ١٤٩) ورد فيها بعض الاغلاط كان جنابهُ يمكنهُ ان يتداركها لو راجع تاريخ فنّ الطباعة في مجلتنا الذي نشرناه في ثلثة مجلّدات المشرق (٣ــ٥ ١٩٠٠ــ ١٩٠٣) فمنها وهم بهِ قولهُ : « سعى قداسة البابا يوليوس الثاني لانشاء مطبعة في عاصمة الكثلكة طبع فيها اوّل كتاب الصلوات سنة ١٥١٤ » ــ وفي هذا القول ما يحتاج الى تصحيح . فان البابا يوليوس الثاني كان توفي سنة ١٥١٣ فخلفهُ لاون العاشر وفي عهدهِ ظهر اوّل كتاب طُبع بالعربيَّة وهو كتاب السواعي ولم يُطبع في رومية ولكن في مدينة فانو ودونك ما كُتب في صدرهِ بحرفهِ الواحد :

« وكان الفراغ من هذهِ السواعي المباركة نهار الثلاثاء ثاني عشر شهر تشرين سنة الف وخماية واربع عشر لسيد يسوع المجد امين . وهي ختم المعلم غريغوريوس بيت غريغوريس من مدينة البندقية حُتمت في مدينة فان تحت حكم قداسة البابا لاون مالك كرسي القديس مار بطرس الرسول بمدينة روما ومن وجد فيهِ غلط يصلح الله شأنه بشفاعة السيد امين »

وقد وهم ايضاً الكاتب بقولهِ «انَّ التوراة باللغة العربية طُبعت في القسطنطينيَّة سنة ١٥٥١ بقلم سعيد الفيومي . » وهو خبر لا صحة لهُ كان نقلهُ المرحوم جرجي زيدان فبيَّنا عدم صحتهِ . ثمَّ ان الزبور (ص ١٤٩ــ١٥٠) المطبوع في قزحيا لم يطبعهُ اللبنانيّون الرهبان لان هؤلاء الرهبان انشئوا مئة سنة بعد ذلك وانما طبعهُ الايطالي بكالي ايلي وقد وصفناهُ وصفاً طويلاً في المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٢٥١ــ٢٥٧) فليراجع

وكذلك وهم باسم السيد دوثال (ص ١٥٢) فدعاهُ كيرلس والصواب «شرل» او «كرلس» وهو الذي صار بعد ذلك قاصداً رسولياً على سورية وتوفي سنة ١٩٠٣

أسئلة وأجوبة

س سأل احد المشتركين في ابادة السبب لتخصيص السيد المسيح الحمام بالوداعة (متى ١٠: ١٦) فصلاً عن بقية الطيور؟

وداعة الحمام

ج السبب ظاهر لان الحمام من الطيور الداجنة التي تألف البيوت وتأنس بالانسان على خلاف غيره ولذلك ضُرب به المثل بالرقة والبساطة والوداعة عند كل الشعوب. ومن أمثال العرب «آلف من حمام». وفي الاسفار المقدسة لم يُجز الله تقدمة اي طائر كان كذبيحة سوى الحمام. والحمام كان اوّل مبشّر لنوح في السفينة بنهاية الطوفان. فلا عجب في قول المسيح لتلاميذه: «كونوا ودعاء كالحمام» لكنهُ اراد ايضاً ان يكونوا حكماء كالحيّات اللواتي تحذر قبل كل شيء على رأسها ولو بتقطيع جسمها

س وسأل احد الاكليريكيين عن اصل الكلمتين «الشيّة والشحيم» ومعناهما؟

الشيّة والشحيم

ج الكلمتان من السريانيّة أما الاولى التي لا ذكر لها في المعاجم السريانيّة فهي تعتّ (ܫܒܬܐ) مشتقة من لفظة شبّا (ܫܒܐ) اي السبت. فيكون معنى «الشيّة» صلوات اسبوعية تقال في ايام السبّة. اما «الشحيم» «شمّشا» (ܫܡܫܐ) او «شمّشمّا» فمعناه الصرف الخالص البسيط والاعتيادي يُراد بهِ كتاب الفرض الكهنوتي يُتلى مرّة في كل اسبوع

س وسأل مستفيد من دمشام الى من تُنسب الطريقة الشاذلية الموجودة في دمشق؟

الطريقة الشاذلية

ج هذه الطريقة احدى الطرائق الصوفيّة الاسلامية تُنسب الى الامام ابي الحسن عليّ بن عبدالله الشاذلي الذي ينتمي نسبهُ الى علي بن ابي طالب. وقيل لهُ الشاذلي نسبةً الى قرية شاذلة (ويقال شاذلة) القريبة من تونس كان مولده في غمارة من قرى المغرب قريباً من سَبْتة سنة ٥٩١هـ (١١٩٥م) ثمّ انتقل الى شاذلة وتعبّد بها متصوّفاً فتبعهُ كثيرون وكان ضريراً واشاع طريقتهُ الصوفيّة في المغرب وفي مصر وتماطى علم السيمياء فرُمي بالزندقة واختلف الناس في امره وتوفي في الصعيد في صحراء عيذاب سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م)

ل.ش